المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

وسطية الإسلام وثمرتها على الفرد والمجتمع

د. عفاف بنت حسن بنت محمد مختار
أستاذ مشارك : عقيدة ومذاهب معاصرة
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .أما بعد

فلقد تميزت هذه الأمة عن غيرها من الأمم بكونها أمة الوسطية ، كما قال عز وجل{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطً} (البقرة: ١٤٣) وتميز دينها بالسماحة واليسر ورفع الحرج عن أتباعه وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ }(الحج : ٧٨) ومع هذا الوصف لهذه الأمة ولهذا الدين إلا أن أقواماً خالفوا مقصد الشارع الحكيم وخرجوا عن سمة أمة الوسط والاعتدال وشادوا الدين ، ولذا فإننا بأمس الحاجة لدراسة الوسطية الإسلامية واستيعابها ، وبالتالي ترجمتها عملياً ، وتنزيلها على جميع مسارات واقعنا المعاصر بمختلف المجالات الحياتية، كي تصبح منهج حياة رشيدة لجميع أفراد المجتمع ومؤسساته وهيئاته.

فهاهو العالم الإسلامي في العقود الأخيرة يعاني من ظاهرة الغلو الديني وتفشي مظاهر التطرف والتعصب الفكري ، مما أدى إلى ارتكاب بعض أعمال العنف التي لا تخدم الإسلام بأي حال، بل إنها أثمرت الكثير من السلبيات الماحقة والأخطاء الفادحة ، وأسهمت في تشويه صورة الإسلام والمسلمين عند غير المسلمين ، وشيوع ظاهرة العداء للإسلام وكراهيته ، والوصول أخيراً إلى المحاربة الفعلية للإسلام تحت مبرر ودعوى التصدي لظاهرة الإرهاب ، التي غدت اليوم عند بعض الدول الغربية حرباً على الإسلام نفسه بقيمه ومظاهره وتشريعاته .

إن شيوع الغلو والتطرف في أوساط بعض الشباب المسلم اليوم تتناقض مع روح الإسلام وشريعته السمحة وقيمه الإنسانية ، صحيح أن ظاهرة الغلو محدودة بين المسلمين ، تتجلى عند أفراد قلائل وفصائل وجماعات صغيرة داخل المجتمعات المسلمة ولا تشكل ظاهرة عامة ، بيد أن الآثار الناجمة عن أفكارهم وأعمالهم وتصرفاتهم والضجيج الإعلامي حولها، جعلها بالفعل تصبح ظاهرة مثيرة وأزمة خطيرة تمس ديننا وقيمنا وحياتنا ومستقبل بلادنا ، وعليه فإن هذا البحث يرمي إلى التأكيد على الوسطية التي هي المنهج الرباني ، والنظام الإلهي الذي ينسجم مع الفطرة الإنسانية ، فالخير كله في الوسطية التي جاء بها الإسلام للإنسانية جمعاء في كل زمان ومكان ، وقد بلغت الوسطية الإسلامية هذا المقام في حضارتنا ، لأنها بنفيها للغلو الظالم، والتطرف الباطل ، إنما تمثل الفطرة الإنسانية في براءتها ، وفي

بساطتها وبداهتها وعمقها ، وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولذا فإن هذا البحث يوضح وسطية الإسلام وثمرتها على الفرد والمجتمع ، حيث إن غياب الوسطية يشجع الغلاة والمتطرفين على نشر أفكارهم المغالية وتصوراتهم المنحرفة وأعمالهم العنيفة .

أسباب اختيار البحث :

١. بيان خطورة مذهب الغلاة والمتطرفين .

٢. اختلاط منهج الحق بالباطل لدى الغلاة والمتطرفين.

٣. وقوع الانحراف عند كثير من الناس في باب الاعتقاد وتأثرهم بالمناهج المتشددة.

٤. إيضاح سيطرة الآراء البشرية على منهج الغلاة والمتطرفين .

٥. إظهار مزايا أهل السنة والجماعة وخصائصهم السنية .

هدف البحث :

بيان مزايا الوسطية وثمارها النافعة على الفرد والمجتمع

منهج البحث :

اتبعت في إعداد هذا البحث المنهج الآتي :

١. نقل الأقوال من مصادرها ، فقول أهل السنة أنقله من كتب أهل السنة ، وقول أهل البدع من كتبهم ، إلا إذا تعذر الأمر فقد أنقل ممن قرر في المسألة التي أنا بصددها مقتدية بالسلف الصالح ، يقول شيخ الإسلام إبن تيمية يرحمه الله (وأقوال الخوارج إنا عرفناها من نقل الناس عنهم ، لم نقف لهم على كتاب مصنف) [١] .

٢. الاعتماد على أقوال شيخ الإسلام ابن تيميه يرحمه الله لكونه (في رأيي) أبرز عالم سني شرح المسائل العقدية ، وكان منهجه منهجاً متكاملاً لا يقبل الأخذ بشق وترك الشق الآخر، فهو فكر يقوم على أساس العقيدة الصافية النقية وهذا منهج النبي عليه الصلاة والسلام .

٣. ذكر شيئاً من كلام أهل البدع للاستشهاد به ، لا يدل ذلك على موافقتهم في جميع ما يقولون ، ولكن الحق يُقبل من كل من تكلم به .

---

١ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (١/٣٧)

٤. إذا كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بتخريجه منهما ، إذ المقصود معرفة صحته، وأكثر أحاديث البحث منهما ، أما إذا كان في غيرهما فقد أذكر أكثر من مصدر على حسب الإمكانية.

٥. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها .

٦. المقارنة بين الوسطية في الدين الإسلامي واليهودية والنصرانية وغيرهما على قدر الإستطاعة.

خطوات البحث :

يحتوي البحث على مقدمة وأسباب اختيار الموضوع والهدف منه وفصل واحد وخاتمة وفهرس ، أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وهدف البحث ومنهجه .

الفصل الأول : وسطية الإسلام وثمرتها على الفرد والمجتمع وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : تعريف الوسطية في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة .

المبحث الثاني : الوسطية في العقيدة والعبادة والتشريع والفكر وفيه أربعة مطالب :-

المطلب الأول : الوسطية في العقيدة الإسلامية وفيه خمس مسائل :-

المسألة الأولى : الوسطية في أسماء الله وصفاته .

المسألة الثانية : الوسطية في علاقة المسلم بغيره .

المسألة الثالثة : الوسطية في النبوة والرسالة .

المسألة الرابعة : الوسطية في القضاء والقدر .

المسألة الخامسة : الوسطية في المادة والروح .

المطلب الثاني : الوسطية في العبادة وفيه مسألة واحدة :-

المسألة الأولى : الوسطية في الصلة بالله تعالى .

المطلب الثالث : الوسطية في التشريع والرخص وفيه ثلاث مسائل :-

المسألة الأولى : الرخصة في الطهارة .

المسألة الثانية : الرخصة في الصلاة .

المسألة الثالثة : الرخصة في الصيام .

المطلب الرابع : الوسطية في الفكر وفيه أربع مسائل :-

الفصل الأول : مزايا الوسطية وثمرتها على الفرد والمجتمع وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : تعريف الوسطية في اللغة والاصطلاح والقرآن والسنة :-

الوسطية في اللغة :-

تدل كلمة وسط على معان متقاربة كما يقول ابن فارس : على العدل والنصف والوسط والخيار والأفضل والأجود ، ولذلك نجد أن تصريف هذه الكلمة لايخرج في معناه عن معاني العدل والفضل والخيرية والنصف والبينة والتوسط بين الطرفين [1]

الوسطية في الاصطلاح :-

يقول الطبري يرحمه الله (الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين مثل (وسط الدار) وأرى أن الله تعالى ذكره ، إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين ، فلاهم أهل غلو فيه ، كغلو النصارى الذين غلو بالترهيب وقولهم في عيسى ماقالوا فيه ، ولاهم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبيائهم ، وكذبوا على ربهم وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم بذلك) [2]

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا:(إن الوسط هو العدل والخيار ، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر هو الإفراط ، والنقص عنه تفريط وتقصير ، ولكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر مذموم ، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما) [3] ويقول الشيخ السعدي يرحمه الله (أي عدلاً خياراً، وماعدا الوسط فأطراف داخلة تحت الحظر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين، وسطاً في الأنبياء بين من غلا منهم كالنصارى وبين من جفا منهم كاليهود ، بأن أمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك) [4]

ويقول الأستاذ محمد قطب : (إن الوسطية هي التوازن، والتوازن هو العدل، حيث قال بعد {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} وسطاً فى كل شيء متوازنين في كل ما يقومون به من نشاط، ثم بين أن

---

١ معجم مقاييس اللغة (١٠٨/٦) ، ولسان العرب (٤٢٧/٧-٤٣٠).

٢ تفسير الطبري (٦/٢) .

٣ تفسير المنار (٤/٢) .

٤ تفسير السعدي (١٥٧/١)

الوسطية تعني التوفيق بين أشياء كثيرة ، كالتوفيق بين مطالب الفرد الواحد وبين مطالب المجموع والتوفيق بين العمل للعاجلة والآجلة وهكذا) [١]

الوسطية في القران الكريم :–

يكاد يجمع العلماء والمفسرون وأهل اللغة بأن معنى قوله عز وجل {أُمَّةً وَسَطاً } أي عدول خياراً، وهذا المعنى يتوافق مع بقية الآية حيث إن الوسطية علة لتكليف الأمة بالشهادة على الأمم{ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ}(البقرة :١٤٣) والشهادة لا تقوم إلا بالعدل ولا تقبل إلا من عدل[٢]

الوسطية في السنة النبوية :–

جاء في السنة النبوية تفسير وسطية الأمة بعدالتها صريحاً، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (يجاء بنوح يوم القيامة ، فيقال له هل بلغت ؟ فيقول نعم يارب، فتسأل أمته هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير ، فيقول : من شهودك ؟ فيقول : محمد وأمته ، فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً } قال: عدلاً { لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}) [٣] ، فشهادتهم على الأمم لأن الله تعالى عدَّلهم ورضي عملهم .

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا: أن الوسط من كل شيء (أعدله) فالوسط إذن ليس مجرد كونه نقطه بين طرفين أو وسطية جزئيه، كما يقال: فلان وسط في كرمه ، ووسط في دراسته، ويراد به وسط بين الجيد والرديء ، فهذا المفهوم وإن درج عند كثير من الناس، فهو فهم ناقص مجتزأ، أدى إلى إساءة فهم معنى الوسطية المقصودة، وبالتالي لم يبق معنى الوسطية مجرد التجاوز بين الشيئين فقط بل أصبح ذا مدلول أعظم ، ألا وهو البحث عن الحقيقة وتحصيلها والاستفادة منها، وهو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط [٤] .

---

١ منهج التربية الإسلامية (١/٢٨)

٢ تفسير ابن كثير (١/٢٠٣–٢٠٤)

٣ البخاري كتاب التفسير– باب قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) (٥/١٧٦)

٤ الوسطية في الإسلام (١٨)

المبحث الثاني : الوسطية في العقيدة والعبادة والتشريع والفكر وفيه أربعة مطالب :-

المطلب الأول : الوسطية في العقيدة الإسلامية وفيه خمس مسائل :

المسألة الأولى : الوسطية في أسماء الله وصفاته :-

إن مبحث الأسماء والصفات قد شغل حيزاً كبيراً من كتب أهل السنة والجماعة ، حيث تعددت المدارس فيه، وتشعبت الآراء والمعتقدات ، ومن أعظم الأمم اختلافاً وضلالاً في هذا الباب ، أمتا اليهود والنصارى ، فاليهود قد غلب عليهم التقصير والتفريط والجفاء ، وإن كان لديهم غلو وإفراط، والنصارى غلب عليهم الغلو والإفراط ، وإن وقع منهم تفريط وتقصير في جوانب .

إن اليهود قد أسرفوا في تشبيه الخالق بالمخلوق ، ووصف الله عز وجل بالنقائص التي لا تليق إلا بالمخلوق ، ولقد سجل الله عز وجل عليهم صوراً من ذلك ومنها وصفهم الله تعالى بالفقر ، وبأن يده مغلولة ، كما وصفوه سبحانه بالحزن والندم على أفعاله ، ووصفوه بالتعب والاستراحة ، وقالوا عنه (بأنه إنسان وأنه صارع يعقوب عليه السلام إلى الفجر) ووصفوه بعدم العلم والمعرفة وجعلوا له أبناء كما أن للمخلوق أبناء ، يقول الله تعالى عنهم { لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ } (آل عمران :١٨١) وقال { وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ }(المائدة :٦٤) وجاء في سفر التكوين (فقال الرب: امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم) [١] وجاء في سفر الخروج (لأنه في ستة أيام صنع الرب الأرض والسماء والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع)[٢] ، وجاء في سفر التكوين قصة مصارعة يعقوب للرب عز وجل فقال الرب (ما أسمك ؟ فقال: يعقوب فقال:لا يدعى أسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس) [٣] وجاء في سفر التكوين (إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)[٤] وهذا ما أخبر الله تعالى عنه بقوله {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ

١ سفر التكوين الإصحاح رقم (٦) فقرة (٥ – ٨)

٢ سفر الخروج الإصحاح رقم (٢٠) فقرة (١– ١٧)

٣ سفر التكوين الإصحاح رقم (٣٢) فقرة (٢٤–٣٠)

٤ سفر التكوين الإصحاح رقم (٦) فقرة (١– ٢)

}(التوبة: ٣٠)، ومن الذين غلوا في مسألة الأسماء والصفات غلاة الفلاسفة والقرامطة والباطنية الذين جعلوا الله تعالى مجرداً منها لا يوصف بالنفي ولا الإثبات فسلبوا عنه النقيضين فقالوا: لاموجود ولامعدوم ولاحي ولاميت ولاعالم ولا جاهل لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات ، فوقعوا في شر ما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات إذا سلب النقيضين كليهما من الممتنعات [١]، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (حقيقة قول الفلاسفة في الصفات أن الرسل كذبت فيما أخبرت به عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لأجل ما رأوه من مصلحة الجمهور في الدنيا)[٢]، وأما الجهمية المحضة والفلاسفة الدهرية فقد نفوا الأسماء والصفات واعتبروا الله تعالى الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، فوصفوه بالسلوب أي يجعلون الصفات الثبوتية لله عز وجل من قبيل السلوب والاضافات دون صفات الإثبات ، فجعلوا العلم عين العالم[٣] يقول الإمام أحمد يرحمه الله عن جهم بن صفوان (وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدث عنه رسوله كان كافراً ... فإذا سألهم الناس عن قول الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } (الشورى :١١) يقولون : ليس كمثله شيء من الأشياء وهو تحت الأرضين السبع كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم ولا يتكلم ، ولاينظر إليه أحد في الدنيا ولافي الآخرة ، ولايوصف ولا يعرف بصفة ولا يفعل ولا له غاية ولا منتهى) [٤] وقد ضل في ذلك الباب المعتزلة والمرجئة فعطلوا تعطيلاً جزئياً [٥] ، وأما النصارى فقد ضلوا في هذا الباب ضلالاً بعيداً ، ولعل من أعظم ضلالهم أنهم شبهوا المخلوقات بالخالق وأضفوا عليه من الصفات والخصائص مالا يليق إلا بالله عز وجل فقالوا : (إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ، ويتوب على الخلق ، ويثيب ويعاقب)[٦] وغير ذلك من الصفات التي لا تكون إلا لله تعالى يقول الله سبحانه وتعالى عنهم{ لَّقَدْ

---

١ المقالات (١/١٤٦- ١٤٧)

٢ الفتاوى (٣/ ٨٧) ومنهاج السنة ط جامعة الإمام (٢/١٠٩)

٣ الرد على الجهمية (١٠٤ – ١٠٥) والفتاوى (٦/٣٥)

٤ الرد على الجهمية (١/١٤٦- ١٤٧)

٥ المعتزلة أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات ، والأشاعرة من المرجئة أثبتوا سبع صفات ونفوا الباقي ،والماتريدية من المرجئة أثبتت ثمان صفات ونفت الباقي.

٦ الوصية الكبرى لابن تيمية (١٤)

كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }(المائدة: ١٧) وتارةً جعلوه ابناً لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، يقول الله سبحانه وتعالى{ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ }(التوبة :٣٠) ، وقالوا تارةً أخرى إنه شريك لله وجزء من ثلاثة يتكون منها الإله ، يقول الله تعالى عنهم{ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}(المائدة: ٧٣) يقول ابن القيم يرحمه الله عنهم أنهم قالوا(ليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة (هكذا) نبي ولا عبد صالح، بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة)[١] ومن ضلال النصارى في هذا الباب أنهم قالوا:إن الله اتخذ ولداً يقول الله تعالى {وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ} (التوبة:٣٠) وقال{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً}(مريم :٨٨) وقد بين الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي ، إن من نسب إليه الولد فقد شتمه وسبه فقال (وأما شتمه إياي فقوله لي ولد ، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا)[٢] وزعمهم أن الله تعالى نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً [٣]، يقول ابن القيم يرحمه الله عنهم(حيث زعموا أنه سبحانه وتعالى عن قولهم علواً كبيراً أن نزل من العرش عن كرسي عظمته ودخل في فرج امرأة وأقام تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن ثم خرج من حيث دخل، رضيعاً صغيراً يمص الثدي... ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه، و ربطوا يديه، وبصقوا في وجهه، وصقعوا قفاه، وصلبوه جهراً)[٤]، وقد وقع في التمثيل بعض الشيعة والمعتزلة حيث مثلوا الخالق بالمخلوق، فقالت المعتزلة : بتشبيه كلام الله عز وجل بكلام خلقه، والروافض قالوا بالبداءة على الله تعالى، وقد مثل المخلوق بالخالق السبئية الذين شبهوا علياً بذات الله تعالى[٥] فلذا فإن الفرق الإسلامية التي ضلت في باب الأسماء والصفات تشابهت بالنصارى واليهود .

---

١ هداية الحيارى (٢٦٩)

٢ البخاري كتاب التفسير – باب (وقالوا اتخذ الله ولداً) (١٦٨/٨)

٣ الملل والنحل (٢٨/٢)

٤ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢٧٨/٢)

٥ ومن الذين شبهوا المخلوق بالخالق البيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية والحلولية والهشامية واليونسية من الشيعة ، والخابطية من القدرية ، وكذلك الكرامية من المرجئة انظر المقالات (٦٩/١– ٧٤)، الفرق بين الفرق (١٨١– ١٨٢) اعتقادات فرق المسلمين (٧٢) البرهان (٧٧) ذكر مذاهب الفرق (٨٤– ٨٦) التبصير في الدين (٤١–٤٣) الملل والنحل (٦١/١– ٦٣) الاقتصاد والرد على ابن الراوندي الملحد (١٤٩) الإيمان والحياة(٤٩– ٥٠).

أما هذه الأمة المسلمة فاعتقادها هو ما جاء به المرسلون فآمنوا بالله وحده لا شريك له ونزهوه عن الأنداد ووصفوه بصفات الكمال والجلال ، ونزهوه عن جميع صفات النقص، كما نزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات أو الصفات ، ولم يصفوه إلا بما وصف به نفسه سبحانه أو وصفته به رسله [1] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف فلم يشبهوه بشيء من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته فقالوا { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } (الشورى :١١) ولم يشبهوا شيئاً من خلقه به ، لا في ذاته ولا في صفاته ، ولم يجعلوا له نظيراً أو نداً أو مثيلاً أو شريكاً في شيء من خصائص ألوهيته وربوبيته فنزهوه سبحانه عن الشبيه والنظير والكفء والند والمثيل، وبذلك أخذ أهل السنة والجماعة بهذا الموقف في مسألة الأسماء والصفات فكان موقفهم موقفاً ثابتاً ثبات الجبال لا يتغير ولا يتبدل ، حيث اعتمدوا على القران والسنة ، ولذلك اتصفوا بالوسطية بين التمثيل والتعطيل.

المسألة الثانية : الوسطية في علاقة المسلم بغيره :-

إن اليهود لم يقيموا العدل فيما بينهم ، وهم شعب واحد، بل فرقوا بين ضعيفهم وقويهم، وشريفهم ووضيعهم، فما بالك بالشعوب الأخرى، فاليهود قد اباحوا دماء غير اليهود وأعراضهم وأموالهم، يقول الله تعالى عنهم{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ } (آل عمران :٧٥) ومرادهم بالأميين العرب والمشركين وكل من ليس يهودي [2] ويقول { وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } (النساء:١٦١- ١٦٢) ، وجاء في سفر التتنية (للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا)[3] ، وجاء في التلمود وهو الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية والتشريعات حيث يزعم اليهود أن موسى عليه السلام قد تلقاه من الله تعالى مشافهه وهو تفسير وتفصيل للتوراة وهو عندهم أقدس منها [4] (أقتل الصالح من غير الإسرائيلين ، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها)[5] ، ويقول التلمود أيضاً (لا

---

١ منهاج السنة (١٦٩/٥) ط جامعة الإمام .

٢ جامع البيان (٥٢٢/٦) .

٣ الإصحاح (٢٠) فقرة (١٦- ١٧) .

٤ فضح التلمود (٢١) .

٥ الكنز المرصود في قواعد التلمود (٩٠) .

يخطىء اليهودي إذا تعدى على عرض الأجنبي ، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد ، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة ، والعقد لا يوجد مع البهائم) [1]، ويقول (إن الله لا يغفر ليهودي يرد للأمي ماله المفقود)[2] فاليهود لا يرقبون في غير اليهودي إلاً ولا ذمة ، بل يظلمونه ، ويستحلون دمه ، وماله وعرضه ، ويعدون ذلك ديناً لهم .

وأما النصارى فإن المسيح عليه السلام أمرهم بمقابلة السيئة بالحسنة وأن لا يردوا على من أساء إليهم ومع ذلك فلقد كانوا شديدي الظلم والاضطهاد لغيرهم من أهل الأديان الأخرى ، ولم يكن اضطهادهم للمخالفين عملاً فردياً ، بل كان سياسة ثابتة حاسمة تستهدف إفناء غيرهم ومحو آثاره ، ولعل من أبلغ الأمثلة الشاهدة على مبلغ ظلم القوم وحقدهم تلك المذابح التي ارتكبها النصارى ضد سكان بيت المقدس إبان استيلائهم عليها ، فقد قطعوا رؤوس عدد كبير من المسلمين ، وقتلوا غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج ، وظل بعضهم يعذبون عدة أيام، ثم أُحرقوا في النار، ومن شدة التعذيب والتقتيل أصبحت الشوارع مليئة بأكوام الرؤوس والأيدي والأرجل والأقدام والجثث[3] ثم انطلقوا في شوارع المدينة وإلى الدور والمساجد يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز، واستمرت المذبحة طوال ذلك اليوم والليلة، وفي الصباح الباكر من اليوم الثاني اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبين فأجهزت على جميع اللاجئين، وفر يهود بيت المقدس إلى معبدهم الكبير، غير أنه تقرر بإلقاء القبض عليهم بحجة أنهم ساعدوا المسلمين، فلم تأخذهم بهم الرحمة والرأفة، فأشعلوا النار في المعبد ولقي اليهود بداخله مصرعهم محترقين، فخلت المدينة من سكانها المسلمين واليهود[4] وفي الأندلس عند أفول نجم الخلافة الإسلامية فيها وتغلَّب النصارى عليها الحقوا بالمسلمين ضروباً من الظلم والأذى وقد استنفدت الكنيسة جهدها في إقناع المسلمين في اسبانيا، لكي يرتدوا عن دينهم ويعتنقوا النصرانية، واستجمعت محكمة التفتيش كل قواها، واعتصمت بالجرأة والتعصب وصبت عذابها على المسلمين من غير رفق ولا عدالة، حتى اعتنق النصرانية من خار في ميدان الكفاح، وهاجر من حار بين التمسك بعقيدته، واحتمال الآم العذاب، ثم تم بعد ذلك إجلاء

---

١ الكنز المرصود (٩٥) .

٢ نفس المصدر (١٥٢).

٣ قصة الحضارة (١٥– ٢٥) .

٤ الكامل لابن الأثير (١٨٩/٨) وتاريخ الحروب الصليبية (٤٠٤/١– ٤٠٥).

الوف المسلمين عن أسبانيا بعد أن أغرقوا بدمهم أرضها، وكتبوا بمقاومتهم أنصح الصفحات في تاريخ الجهاد في سبيل الله[١] ومازال النصارى يسيئون إلى المسلمين بطرق متعددة في دول الغرب عموماً، فالنصارى ما كانوا في وقت من الأوقات عدولاً ولا رحماء مع مخالفهم كما هو شأن الإسلام مع زعمهم أنهم أتباع من قال لهم(أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصَّلوا لأجل من يعنتكم ويضطهدكم)[٢]فاليهود والنصارى يتصفون بالأنانية واحتقار الآخرين والنزعة العنصرية لشخصيتهم،يقول الله تعالى عنهم{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُه}(المائدة:١٨).

أما الدين الإسلامي فقد عني بإصلاح الإنسان والمجتمع على أساس الحق والعدل، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات ، فجعل حقوقاً خاصة بالفرد ، وأخرى خاصة بالمجتمع، فالإسلام حرم على كل مسلم أن ينال من نفس أخيه ، وعرضه ، وماله ، وجعل العقوبة والحدود لمن يخالف هذا الأمر أو يخل بالحقوق، أما علاقة المسلمين بعضهم ببعض فقد قامت على أسس تكفل لهم الترابط والتآخي وتحقق للمجتمع القوة والمنفعة ومنها:الاتحاد حيث إن الإسلام أمرنا في كل وقت بالاتحاد وعدم التفرقة وأن نكون يداً واحدة فنصبح قوة عظمى تجابه أعداء الإسلام، يقول الله تعالى {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ }(آل عمران:١٠٣) وأمرنا بالمحبة والتعاون فيما بيننا يقول الله تعالى{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة :٢) ودعانا إلى الرحمة ورعاية الفقراء والمحتاجين وغير ذلك من الأمور التي توطد العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم، أما علاقة المسلم بالذمي وهو غير المسلم الذي يقيم مع المسلمين في دار الإسلام بمقتضى عقد ذمة يعقده معهم ، فحفظ الإسلام له حريته في ممارسة العبادة والعقيدة وأن يتمتع بكل ما يتمتع به المسلمون من حقوق التجارة والكسب والعمل والتنقل ، وأوجب الإسلام حماية الذمي فدمه وماله مصونان وحريته وكرامته محترمان [٣]، وهذا ما فعله الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أمر بضرب ابن والي مصر (عمرو بن العاص) لأنه أساء إلى ذمي ثم قال مقولته المشهورة الخالدة(متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، أما علاقة المسلم بالأجنبي وهو الذي يدخل الديار الإسلامية لمدة محدودة أما بعقد أمان أو بمجرد حق

---

١ قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام (٧١- ٧٢).

٢ إنجيل متى – الإصحاح الخامس فقرة (٤٣- ٤٤).

٣ معالم الثقافة الإسلامية (٢٣٢- ٢٣٣)

الإقامة ، فالإسلام أعطاه حق الإقامة والتنقل في الدول الإسلامية، وله أن يمارس التجارة والعمل وأن يتمتع بالمرافق العامة الضرورية وله أن يتمتع بحرية دينه وحرمة نفسه وماله وعرضه مادام ملتزماً بعقد الأمان يقول الله تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} (التوبة:٦) فالأجنبي له حرية العقيدة وممارسة شعائره الدينية في أماكن العبادة الخاصة بهم، بل بلغ التسامح بالدين الإسلامي أن جعل من مصارف الزكاة (ابن السبيل) والمقصود به المسافر المحتاج حتى ولو كان غير المسلم فيدخل فيه الأجنبي ، فالدين الإسلامي تسامح مع غيره من الأديان وسجل أروع المواقف منها صحيفة المدينة التي أكدت الحرية الدينية لغير المسلمين، وأن على الدولة أن تنصر من يتعرض منهم للظلم، والاعتداء، وصلح الحديبية حيث تسامح النبي صلى الله عليه وسلم مع أعداء الإسلام ، ليس خوفاً أو ضعفاً ولكن رغبة منه في حقن الدماء ولذا حذرنا عليه الصلاة والسلام من قتل المعاهد والذمي فقال (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)[1] إذاً العلاقة للمسلم بغيرة علاقة وسطية ليس فيها التمييع ، فالمسلم لا يقبل الذوبان في غيره، بل يكون ثابتاً متماسكاً بعقيدته كما قال الله تعالى{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الزخرف :٤٣) ولكنه لا يتعصب ضد غيره من العقائد السماوية يقول الله تعالى { اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ }(الشورى :١٥) بل يتسع صدره لما يخالفه { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }(الكافرون :٦) ، فالإسلام يهيب بالمسلم أن يدعوا إلى دينه ولكنه لا يرضى بإكراه أحد على اعتناقه {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (البقرة :٢٥٦) ولا يقبل التهاون في موادة من يحاربه ويضع العراقيل في سبيله وإن كانوا من ذوي القربى القريبة ، ولكنه لا يقبض يد البر والمعونة لمن يخالفه ولا يعتدي عليه، فالدين الإسلامي لم يجعل المسلم يقيم علاقته مع الآخرين على العداوة والبغضاء ، وهنا يظهر مدى عداوة اليهود والنصارى والمشركين للمسلمين سواءً كان في الماضي أو الحاضر، فرغم عطف ورحمة وكرم وعدل المسلمين مع غير المسلمين، وجدنا الصورة بالعكس في معاملة غير المسلمين للمسلمين حيث سجل لنا التاريخ : أن المسلمين وجدوا صنوفاً من الاضطهاد والتنكيل والتشريد والسخرية وعدم حرية العقيدة والتضيق عليهم عند ممارسة عقيدتهم، ثم القسوة في المعاملة أثناء العمل، والحرمان والطرد ونظرة الكراهية والسخرية من كثير

١ البخاري الديات ، باب من قتل ذمياً بغير جرم (٢١٨/١٢)

منهم إلى المسلمين ، وهذا الكلام يتأكد لنا يوماً بعد يوم فيما نراه ونشاهده ونسمعه في الوقت الحاضر[1] فوسطية الدين الإسلامي تمسك بها أهل السنة والجماعة بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين ينابزون من خالفهم الرأي العداء والكراهية .

المسألة الثالثة : الوسطية في النبوة والرسالة :-

إن الدين الإسلامي وقف من ركن الإيمان بالرسل والأنبياء موقف التوسط بين الغلاة والجفاة، فالجفاة كاليهود لهم مواقف شائنة مخزية تُنبي عن خبث في الطوية وفساد في السيرة والسريرة، وإتباع للنفس والهوى، وإعراض عن الحق والهدى ، ولذلك فرقوا بين رسل الله ولم يؤمنوا بهم جميعاً فكفروا وكذبوا وقتلوا بعضهم كما قال الله تعالى{كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ }(المائدة:٧٠) وقد خذلوا أنبياءهم ولم يقوموا بنصرتهم مع أن الله تعالى قد أخذ عليهم ميثاقاً لنصرتهم يقول الله تعالى عنهم وردهم لموسى عليه السلام لما قال لهم{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} (المائدة :٢١- ٢٢) ثم ما لبثوا أن أعلنوا خذلانه ، وعدم القتال معه وخلوا بينه وبين عدُوه يقول الله تعالى { قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } (المائدة :٢٤) وقد رموا بعض الأنبياء بارتكاب الكبائر من الذنوب ، والصقوا بهم كل رذيلة فنسبوا لهارون عليه السلام أنه صنع لهم العجل الذي عبدوه من دون الله تعالى وجاء في سفر الخروج (فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في أذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره..وصنعه عجلاً مسبوكاً)[2] ولقد كذب الله تعالى قولهم وأخبرنا بأن الذي صنع العجل هو السامري ، ورموا نبي الله الآواب سليمان عليه السلام بأنه في آخر أيامه مال لنسائه فبنى لهن الآلهة ثم عبد تلك الآلهة ، جاء في سفر الملوك الأول (وهكذا فعل لجميع نسائه العربيات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهه أخي فلن يحفظ ما

---

١ العلاقات الدولية (٧٤)

٢ الكتاب المقدس – العهد القديم سفر الخروج – الإصحاح (٣٢) فقرة (١- ٦)

أوصى به الرب) [1] والواقع أن القرآن الكريم وضح لنا أن سليمان عليه السلام لم يقر ملكة سبأ وقومها على عبادة الشمس والقمر من دون الله ، وبذل مافي وسعه لهدايتهم ، ونسبوا إلى نوح عليه السلام أنه شرب الخمر حتى سكر وانكشفت سوءته [2] مع أن القرآن وضح لنا أن نوحاً عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، ونسبوا إلى لوط عليه السلام أنه زنا بابنتيه بعد أن تآمرتا عليه واسقتاه خمراً حتى ثمل وزنى بهما وحملتا منه[3] ، ونسبوا إلى داود عليه السلام الزنا بأمرأة أحد جنوده وأنها حملت منه سفاحاً ، وأنه لما خشى افتضاح أمره احتال لقتله ، وتزوج أمرأته من بعده [4] وقد كان من أعظم مواقفهم مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أنهم كانوا لا يألون جهداً في ايذائهم وصدهم عن دعوتهم، يقول الله تعالى{ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ }(البقرة :٨٧) ولم يكتفوا بذلك مع أنبيائهم فقط ولكنهم حاولو قتل النبي محمد عليه الصلاة والسلام كما ثبت في الصحيحين (أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك ؟ فقالت: أردت لأقتلك ، قال: ماكان الله ليسلطك على ذلك)[5] فاليهود قد فرطوا في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومع ذلك فقد غلوا فيهم حيث جعلوا قبورهم مساجد يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) [6] ومن الجفاة أيضاً الملاحدة والفلاسفة والعقلانيين الذين ينكرون الرسالات والنبوات ، وكذلك أهل التخييل والتأويل والتجهيل الذين يزعمون أن الرسل ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا البلاغ المبين ولم يفصحوا فيما جاءوا به مما يتعلق بالله تعالى وأسمائه وصفاته العلى[7] ،

١ سفر الملوك الأول – الإصحاح (١١) فقرة (٤–١٠)

٢ سفر التكوين – الإصحاح (٩) فقرة (١٨– ٢٦)

٣ سفر التكوين – الإصحاح (١٩) فقرة (٣٠– ٣٧)

٤ سفر صموئيل الثاني – الإصحاح (١١) فقرة (٢–٥)

٥ البخاري كتاب الهدية– باب قبول الهدية من المشركين (٢٣٠/٥) ح (٢٦١٧)،ومسلم كتاب السلام– باب السم (١٧٢١/٤) ح (٤٥)

٦ البخاري كتاب الأنبياء – باب قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم ..)(٣٦٥/٦) ومسلم كتاب المساجد– باب النهي عن بناء المساجد على القبور (٣٧٧/١)

٧ الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (٣٦– ٤٠)

ومن مظاهر الجفاء تكذيب الرسول عليه الصلاة السلام ، وبغض ما جاء به ، أو بغضه أو بغض ما جاء به ، والمسرة بانخفاض دين الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو الكراهية لانتصار دينه وسبه وشتمه كما هو موجود عند المرجئة الغلاة والجهمية الذين يقولون: إن الإيمان هو تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام فيما أخبر به ، والسب والشتم لا ينافي التصديق، لأن الإنسان قد يهين من يعتقد وجوب إكرامه ، فالساب لا يكون كافراً وهي شبهه أوهى من خيط العنكبوت ، لأنه لو كان مصدقاً بالرسول عليه الصلاة والسلام لصدق با أقواله وأفعاله التي تحرم إهانته ، ولقد ظهر في هذا الزمان أمور من قواصم الظهر، بل وأشد وأعظم مما كانت في تلك العصور الساحقه، حيث ظهر متبجحون بلغت الوقاحة بهم إلى أن يسطروا في كتبهم وجرائدهم ما يشبب منه الشباب ويجعل الحليم حيراناً ، ومن هؤلاء المستهترين سلمان رشدي الذي ألف كتاب آيات شيطانية وهو بريطاني الجنسية من أصل هندي وقد مكنته بريطانيا من نشر كتابه ودفعت له مكافأة مالية كبيرة جداً ، كما فرضت أوروبا وأمريكا حماية أمنية على الكتاب حتى ينشر في ربوع العالم ، ولقد نال الكاتب من شخصية الأنبياء عليهم السلام وبالذات محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، ومن أعظم الجفاء في الوقت الحاضر ما يحصل من الحداثيين الذين يعيشون بين أظهرنا ويتسمون بأسمائنا ويتكلمون بالسنتنا وينفثون سموم الحداثة بيننا باعوا أنفسهم للشياطين من الشرق والغرب ، أما موقف النصارى من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد غلب عليهم الغلو والإفراط ، مع أنهم فرطَّوا وقصروا في حق بعضهم ، فهم لم يؤمنوا بجميعهم بل فرقوا بينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وغلوا وأفرطوا في عيسى عليه السلام ورفعوه فوق مكانته فجعلوه إلهاً ، جاء في إنجيل يوحنا عنه (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله، كل به كون وبغيره لم يكون شيء مما كون) [1] فجعلوا المسيح هو الكلمة ، وجعلوا الكلمة هي الله، فالمسيح هو الله تعالى عندهم تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ولقد ذكر الله تعالى غلوهم فيه فقال {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ }(المائدة :٧٢) وقد قاموا بخذلان نبيهم عيسى عليه السلام ولم ينصروه عندما أراد اليهود أخذه وقتله بل بعضهم دل عدوه عليه لولا أن الله رفعه وألقى شبهه على بعض تلاميذه ، جاء في إنجيل متَّى (حينئذ جاءوا وألقوا أيديهم على

---

١ إنجيل يوحنا – الإصحاح الأول – فقرة (١– ٤)

يسوع وأمسكوه...حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا)[1]، ومن الغلاة في الرسل والأنبياء الشيعة والصوفية وبعض الأشاعرة، وقلما تجد فرقة إلا وتجد فيها هذه الصفة من عبادة الأنبياء والرسل، وخاصة الرسول عليه الصلاة والسلام وما يوجه له من الدعاء والاستعانة والاستغاثة أكبر دليل على ذلك[2].

أما الأمة الإسلامية فقد آمنت بجميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يفرقوا بين أحداً منهم يقول الله تعالى{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (البقرة :٢٨٥) ، ولم تنتقص أحداً منهم كما فعل أهل الكتاب، ونفوا عنهم كل ما يقدح في نبوتهم ورسالتهم ، وأثبتت عصمتهم من الكفر وارتكاب الكبائر قبل الرسالة وبعدها ، مع إجماع الجمهور على عصمتهم من تعمد فعل الصغائر، وترى محبتهم ونصرتهم ، ولذلك كان نبيها ورسولها محمد عليه الصلاة والسلام أحب إليها من النفس والمال والولد، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3] ولم تغلوا فيهم أو يفرطوا في مدحهم بالباطل، فلم تجاوز بهم مسألة الرسالة والنبوة مقام العبودية لله تعالى وهي المقام والمنزلة التي أنزلهم الله إياها ، فقال سبحانه وتعالى{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}(الإسراء:٣) {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ}(ص: ٤٥) وقال عن خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}(الإسراء:١) فالأنبياء والرسل عندها بشر يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ، ويتزوجون النساء، ولكثير منهم بنين وحفدة ، وليسو بآلهة ولا أبناء الآلهة، فهذه منزلتهم عندها لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا إجحاف، فهم عندها عبيد لا يعبدون ، ورسل لا يكذبون ، بل يطاعون ويتبعون وهذا هو ما عليه أهل السنة والجماعة بخلاف بعض الفرق الضالة .

---

١ متَّى الإصحاح السادس والعشرون – فقرة (١٤- ٥٧)

٢ انظر كتاب الدر المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود ، والرسائل السلفية (١٩- ٤٠) وكتاب رياض الجنة في الرد على أعداء السنة .

٣ البخاري كتاب الإيمان – باب علامة الإيمان (١/٥٣-٥٤) ، ومسلم كتاب الإيمان – باب الدليل على أن من خصال الإيمان... (١/٤٥)

المسألة الرابعة : الوسطية في القضاء والقدر :- [1]

إن بعض الناس قد ضلوا في هذا الأصل العظيم كضلالهم في باقي الأمور العقدية ، وهذا ما وضحه الله سبحانه وتعالى من زعم بعضهم بأن الله لا يقدر الأمور، وإنما تسير على حسب جريان الدهر، يقول الله تعالى { لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا }(آل عمران :١٥٤)، ومن الضلال السابق في القضاء والقدر أن بعضهم احتج على الله تعالى به، وهذه الحجة أول من احتج بها إبليس حيث قال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي }(الحجر :٣٩) فنسب الغواية إلى الله تعالى وأخذها أهل البدع منه، فأخبرنا الله تعالى عنهم بقوله { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ } (النساء: ١٥٥) { وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم } (الزخرف :٢٠) وهذا موقف مشركي العرب حيث كانوا يثبتون القدر مع شركهم ولكنهم يحتجون به على كفرهم وشركهم ، أما اليهود فقد اشتهر عنهم في مسألة القضاء والقدر مذهبان ، مذهب ينفي القدر بالكلية ، ومذهب يقول بالجبر وهو نفس قول الجبرية من الجهمية ، أما النصارى فإنهم انقسموا إلى فريقين : فريق يقول إن الإنسان مخيز كقول المعتزلة ، مما حدا بكثير من الباحثين إلى القول بأن أراء المعتزلة جاءت متأثرة بارآء النصارى السابقين ، وأن أول من أشاع القول بالقدر كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي ، قد اخذوا آراءهم من يحي الدمشقي النصراني ، وفريق يقول بالجبر كالجهمية الجبرية .

ومن الفرق التي ضلت في باب القضاء والقدر الشيعة [2] التي قالت بعقيدة البداء على الله عز وجل، حيث إن وصفهم الله عز وجل بها يستلزم منه وصفه سبحانه وتعالى بالجهل ، وعلى ذلك فلا علم ولا كتابه ولا مشيئة ولا خلق حيث إن مراتب القضاء والقدر هي العلم والكتابة والمشيئة والخلق، والمعتزلة[3] التي قالت: إن العبد يخلق الإرادة والمشيئة والجهمية التي تقول: إن العبد مجبور على فعل نفسه فسلبت العبد الإرادة والمشيئة وجعلته مجبوراً على فعله لا قدرة له ولا اختيار، والله وحده هو الخالق لأفعال العباد وأعمالهم وإنما تنسب إليهم مجازاً كما تنسب إلى الجمادات[4] كما يقال أثمرت

---

١ اختلف العلماء في التفريق بينهما فمنهم من قال : إن القدر تقدير الله في الأزل ، والقضاء حكم الله بالشيء عند وقوعه ، ومنهم من قال: إنهما بمعنى واحد ، والراجح : أنهما إن قرن بينهما فلكل واحد معنى وإن أفرد أحداهما عن الآخر فهما بمعنى واحد . انظر هدي الساري مقدمة فتح الباري (١٧٤) ، والقضاء والقدر للمحمود (٣٠-٣٢) ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧٩/٢) .

٢ رسالة الاعتقادات للقمي (٧٥)

٣ المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (٩٢/١١- ٩٣)

٤ انظر كتاب رفع الشبهة والضرر عمن يحتج بالقدر

الشجرة وطلعت الشمس وغربت واهتزت الأرض وانبتت إلى غير ذلك ، وإذا اثبت الجبر فالتكليف أيضاً جبر[١]، ومازال هذا الاتجاه موجوداً بين طائفة من أهل الأهواء الذين يزعمون أن الإنسان ليس بيده الفعل ولا الإرادة والاختيار كغلاة الصوفية الذين يقومون بما يقومون به من الأفعال والذنوب والمعاصي زاعمين أن ذلك بإرادة الله ومشيئته [٢] وأنه هو الخالق لهذا الفعل، وقد بلغ التجرؤ أقصاه عندما تبجح من تبجح بالمدافعة عن إبليس زاعمين أن الله تعالى ظلمه[٣] وأنه أجبره على الحال التي هو فيها وأنه منعه التوبة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الدين الإسلامي الذي أثبت الأسماء الحسنى والصفات العليا فقد آمنت بها الأمة الإسلامية ومن جملة تلك الصفات العلم والقدرة والكتابة والمشيئة والخلق ، فقالوا: إن الله خالق أفعال العباد على الحقيقة ، لأن العباد خلق له وأفعال المخلوقين مخلوقة لقول الله تعالى{ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}(الصفات :٩٦) وقول النبي صلى الله عليه وسلم {إن الله يصنع كل صانع وصنعته }[٤] وقالوا : العبد فاعل لفعله حقيقة ، وقادر عليه بإقدار الله له عليه ، والله اثبت للعبيد فعلاً فقال{ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله }(البقرة : ١٩٧) فلم ينفوا فعل العبد أصلاً كما قال بعض الضلال بالجبر ، ولم يجعلوا العباد خالقين لأفعالهم من دون الله عز وجل كما فعل بعض أهل الأهواء، وأن كل ما هو كائن فإن الله يعلمه وقد كتبه في اللوح المحفوظ ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، واعتقدوا أن الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة شرعية دينية وهي التي تتضمن محبة الله ورضاه كقول الله تعالى{يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}(البقرة :١٨٥) وإرادة قدرية كونية [٥] وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات وذلك مثل الإرادة في قوله عز وجل{ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}(البقرة :٢٥٣) وقوله{ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ}(هود :٣٤)، وقالوا : إن الله وإن كان يريد المعاصي إرادة كونية قدرية، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، ففرقوا بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه، وبين إرادته

١ بيان مخالفة الكوثري لاعتقادات السلف (٨٨)

٢ الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية (١/٢٢٧- ٢٢٨)

٣ صراع الملاحدة (٣٥٤- ٣٥٨)

٤ البخاري في خلق أفعال العباد (٢٥)

٥ منهاج السنة (٢/٢٩٨) ط جامعة الإمام ، شرح الطحاوية (٤٩٣)

ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا، فالمسلم يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره من الله – تعالى – وهذا ما تمسك به أهل السنة والجماعة بخلاف الفرق الضالة في هذا الباب [١] .

المسألة الخامسة : الوسطية بين المادة والروح :-

إن الموازنة والمواءمة بين الحقوق والواجبات ، والحقوق مع بعضها البعض والواجبات بعضها مع بعض ، والموازنة بين مطالب الروح والجسد ، أمر عسير ليس بالسهل، فالإنسان يغرق بطبعه في الميل إلى أحد الجانبين، وهذا الميل يسبب فساداً للفرد والمجتمع، فاليهود أفرطوا في الماديات، فلو تأملنا التوراة بعد تحريفها لوجدنا تقديس المادة قد غلب عليها ، فلا نجد في أسفار التورآة ذكراً للآخرة، حتى ما ورد فيها من وعد ووعيد فإنما هو متعلق بالدنيا فقط ، ووفقاً لهذا التصور المادي الدنيوي، أغرق اليهود في تقديس المحسوسات واتخذوها طريقاً للرقي، وأصبحت القيم المادية محور الحياة وتحول الإنسان في نظر هؤلاء إلى آله تتحرك وكائن يلهو، وقد وصفهم الله تعالى وبين مدى تعلقهم بالحياة الدنيا وحرصهم عليها فقال { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } (البقرة :٩٦) ولذلك اشتهروا عبر تاريخهم بالجشع وحب المال والتكالب على جمعه بشتى الوسائل يقول الله تعالى{ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ}(النساء:٣٧){ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ}(النساء:١٦١)، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام(قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها [٢] فباعوها)[٣]، أما النصارى فإن المنهج عندهم قائم على الإفراط والغلو في العبادة، حيث ابتدع النصارى رهبانية قاسية على النفس، تحرم الزواج وتكبت الغرائز وتمنع كل أنواع الزينة والطيبات من الرزق، وترى ذلك رجساً من عمل الشيطان، وقد بالغوا في العبادة، وأخرجوها عن كيفتها، وعن المراد منها، وأصبحت رهبانية غالية، ابتدعوها من أنفسهم، بلا حجة ولا برهان، وفي ذلك يقول الله تعالى{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ

---

١ شفاء العليل (٥٢)

٢ فجملوها : يقال : جملت الشحم وأجملته : إذا أذبته واستخرجت دهنه ، وجملت أفصح من أجملت ، انظر النهاية (٢٩٨/١)

٣ البخاري في البيوع ، باب لايذاب شحم الميته ولا يباع (٣٢٩/٤) ومسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير (٧/١١)

رِعَايَتِهَا} (الحديد:٢٧) ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لا تشدوا على أنفسكم فيُشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم ، فشُدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع[١] والديارات[٢] رهبانية ابتدعوها ما كتبناه عليهم)[٣] فابتدع النصارى ديناً يدينون به ، فشددوا على النفس ومنعوها مما تصبو إليه مما أباح الله تعالى وذلك بتحريم ما أحل الله من الطيبات من الرزق ومن زينته التي أخرجها لهم على أنفسهم، والطيبات من الرزق هي الحلال، ويدخل تحته كل حلال يستلذ ويستطاب به من المأكل والمشارب والمناكح وغيرها[٤] وزينة الله كل ما يتجمل به من الثياب والحلي وتنظيف البدن ونحو ذلك ، يقول قتادة يرحمه الله (ذكرُ لنا أنهم يعني النصارى رفضوا النساء واتخذوا الصوامع)[٥]، ومازالت هذه الأمور موجوده في عصرنا عند غلاة الصوفية الذين يعتبرون تحريم زينة الله والطيبات من الرزق من أفضل الأخلاق لذلك يعزفون عنها) [٦] وإن كان النصارى مؤخراً في الغالب قد تحللوا من معظم القيود التي وضعها أسلافهم .

أما موقف الدين الإسلامي بين المادة والروح ، فليس فيه تحجير على النفس ، وليس فيه تعذيب لها، وتضيق عليها ، فلا تبتل فيه ولا رهبانية بل فيه السماحة والسهولة واليسر ، فالتوازن من خصائص الدين الإسلامي الذي يرى أن الغلو كالتفريط يخل بالتوازن وهو سمة من سمات الإنسان الصالح ، فالإسلام يوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح ، ويوازن بين الماديات والمعنويات ، فالاعتدال هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط وهما خلقان ذميمان نهى الإسلام عنهما ، فكان أهم ما يميز به الإسلام أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه ، لا يحاول أن يقسره على ما ليس على طبيعته ، كما تصنع النظم التي تدعي المثالية، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه

---

١ الصوامع : جمع صومعة ، وهي منارة الراهب من النصارى . انظر لسان العرب مادة صمع (٢٠٨/٨)

٢ الديارات : جمع دير وهو صومعة الراهب . انظر أساس البلاغة (١٣٩) .

٣ أبو داود كتاب الأدب- باب في الحسد (٢٠٩/٥- ٢١٠) وأبو يعلى في مسنده (٣٦٥/٦- ٣٦٦) ح (٣٦٩٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٦/٦) وقال:رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العميا وهو ثقة.

٤ أحكام القرآن لابن العربي (٢٨٢/٢) ، زاد المسير (٨٩/٣) ، تفسير القرطبي (١٩٢/٧) ، تفسير الرازي (٦٧/١٤) ، البحر المحيط (٢٩٠/٤)

٥ الدر المنثور (١٧٨/٦)

٦ الأخلاق المتبولية (٢٨١/٢) وعوارف المعارف (٥٩- ٦٠)

الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع دون أن يكبت شيئاً من هذه النوازع الفطرية ، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التي يرسمها له ، فالإنسان في نظر الإسلام مكون من : جسم وعقل وروح ، وأن النفس البشرية تشمل ذلك كله ولا تضيق بشيء منها ، فتشبع الرغبات وتلبي الحاجات وفق ضوابط الشرع وفي إطار من التوازن بين الجميع ، دون أن يطغى جانب على جانب آخر في الإنسان ، فالإسلام لم يهتم بالقيم الروحية على حساب القيم المادية [1] بل وازن بينهما فمثلاً الصلاة في الإسلام لا تشغل الإنسان عن أداء عمله وواجبه في الحياة، ولا العكس فالعمل لا يمنع الإنسان من أداء الصلاة وسائر العبادات الأخرى ، فقد جمع الإسلام بين الدين والدنيا والروح والمادة يقول الله تعالى{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } (القصص :٧٧) ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام للثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادته ، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالوها فقال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فقال عليه الصلاة والسلام (إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2] فالدين الإسلامي وازن بين الحقوق والواجبات وبين مطالب الروح والجسد وهذا ما تمسك به أهل السنة والجماعة لم يجعلوا أحدهما يطغي على الآخر بل اعطوا كل منهما حقه بخلاف أهل البدع والضلال .

المطلب الثاني : الوسطية في العبادة وفيه مسألة واحدة :

المسألة الأولى : الوسطية في الصلة بالله تعالى :-

إن الله سبحانه وتعالى جعل العبادة صلة روحية مباشرة بين العبد وخالقه فلذا عاب الله تعالى على اليهود الذين جعلوا بنهم وبين الله وسائط فقال سبحانه وتعالى عنهم { قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً } (الإسراء :٥٦) يقول ابن عباس رضي الله عنهما(هم

١ منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب (٣) ، الإنسان بين المادية والإسلام (٦٩)

٢ البخاري كتاب النكاح- باب الترغيب في النكاح (٢٢/٧) ، ومسلم كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٠٢/٢)

عيسى وعزير والقمر)[1] وقال مجاهد (عيسى وعزير والملائكة)[2] ويقول سبحانه وتعالى {اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ. قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }(الزمر :٤٣-٤٤) يقول ابن جرير يرحمه الله(اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تُشفع لهم عند الله في حاجاتهم ..قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك ، وتشفع لكم فاخلصوا عبادتكم لله وأفردوه بالألوهية، فإن الشفاعة جميعاً له، لا يشفع عنده إلا من أذن له ، ورضي له قولاً)[3] فاليهود أطاعوا أحبارهم وسادتهم وكبرائهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، وطاعتهم في ذلك هو معنى اتخاذهم أرباباً من دون الله، كما وضح ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في تفسير قول الله تعالى{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ }(التوبة :٣١) كما في حديث عدي بن حاتم حيث قال(أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟ قال: بلى، قال فتلك عبادتهم) [4] يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن يرحمه الله (وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم ومن الشرك الأكبر الذي لايغفره الله)[5] ، ومن المعلوم أن أكثر اليهود تركوا الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة لأحبارهم ، وكذلك عندما غير الأحبار حد الرجم أطاعوهم فيه وعملوا به ، لذلك يقول الله تعالى فيهم{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ}(النساء :١٧١) ومن غلوا اليهود قولهم كما بين الله تعالى عنهم { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ } (التوبة :٣٠) .

أما النصارى فقد غلوا كاليهود فجعلوا المسيح بينهم وبين الله تعالى بل إنهم تجاوزا الحد فقالوا إنه ابن الله أو إنه الله كما قال سبحانه وتعالى{ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } (المائدة :١٧) ويقول { وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ }(التوبة

---

١ ابن جرير في تفسيره (١٠٥/١٥) والسيوطي في الدر المنثور (١٩٠/٤)

٢ ابن جرير في تفسيره (١٨٩/١٨)

٣ تفسير ابن جرير (٢٩/٢٤)

٤ الترمذي في التفسير– باب ومن سورة براءة – ح(٣٠٩٤) وقال: حديث غريب ، وابن جرير رقم (١٦٦٣١)و(١٦٦٣٢)و(١٦٦٣٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٢٣٠/٣) .

٥ فتح المجيد (٣٢٥- ٣٢٦)

٣٠-٣١) ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبدالله ، فقولوا عبدالله ورسوله)[١]، والإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه [٢] فالنصارى قد تجاوزوا الحد في المدح حتى وصلوا إلى الكذب فيه فقالوا عن المسيح إنه الله وإنه ابن الله، لذلك حذرنا عليه الصلاة والسلام من الغلو بقوله(إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[٣] ففي هذا الحديث إخبار منه عليه الصلاة والسلام أن سبب هلاك من كان قبلنا هو الغلو في الدين، فلذا شدد عليه الصلاة والسلام في عدم تقليدهم فقال(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد فلا تتخذوا قبري وثناً يعبد)[٤] فاليهود والنصارى جعلوا المخلوق وسيطاً بينهم وبين الله تعالى فوقعوا في الشرك الأكبر ، وهذا مافعله المشركون في السابق مع العلماء الصالحين فاتخذوا وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، وقد كانوا أسماء رجال صالحين في قوم نوح عليه السلام فغلوا فيهم حتى عبدوهم من دون الله تعالى، كما أن بعض المشركين غلوا في اللات حتى عبدوه من دون الله تعالى لاعتقادهم في صلاحه ، وللأسف أن بعض الفرق تعتقد بهذا المعتقد فالرافضة والصوفية يحيطون أئمتهم بقداسة إلهية ويجعلون لهم منزلة ليس يبلغها أحد ، لاملك مقرب ولا نبي مرسل [٥] أما الأمة الإسلامية فعلاقتها بالله تعالى علاقة مباشرة فلا يوجد رجال دين ولا ناطقين باسمه ، ولا وسطاء بين الناس وخالقهم ، إنما علماء وفقهاء ووعاظ ودعاة يجتهدون في توجيه الناس إلى الخير وتعبيدهم لله عز وجل ، فلا مجال في الإسلام للكهنة والباباوات ، فوسطية الإسلام تكمن في تحرير الإنسان من رق الكهنوت ومن الوسطاء الدجالين ، فالعبادة لله وحده سليمة من العيوب ، خالية من الشوائب ، لا مجال فيها للابتداع ولا يقبل فيها الخرافات والخزعبلات والأوهام والشطحات ، إنها صلة تقوم على مراعاة الإنسان وكرامته فلا تسمح بما يمتهن تكريم الله له ، ولا بما يمجه العقل ، فالعلاقة بين العبد وربه خالية

---

١ البخاري كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم) (١٣٨/٤)

٢ انظر غريب الحديث (٣٣/٢) والنهاية في غريب الحديث (١٣٣/٣)

٣ النسائي في السنن الكبرى –كتاب الحج – أبواب الرمي (٤٣٥/٢) ح (٤٠٦٣) وابن ماجه في سننه كتاب المناسك – باب قدر حصي الرمي (١٠٠٨/٢) ح (٣٠٢٩) ، وأحمد في مسنده (٢٢٥/١-٣٤٧) ، والحاكم في المستدرك كتاب المناسك – باب رمي الجمار (٤٦٦/١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

٤ سبق تخريجه

٥ الكافي للكليني (٢٥٨/١)

من التوسل والرجاء والطلب من غير الله عز وجل ، فالصلاة والقصد والتوجه والإنابة والدعاء لا يكون إلا لله وحده لا شريك له { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }(الأنعام:١٦٢- ١٦٣) وهذا المنهج هو الذي تمسك به أهل السنة والجماعة فسلموا وسلموا بخلاف أهل الضلال والانحراف .

المطلب الثالث : الوسطية في التشريع والرخص وفيه ثلاث مسائل:-

المسألة الأولى : الرخصة في الطهارة :-

الطهارة هي المدخل إلى العبادات ، ولذلك فإن اليسر فيها رحمة للعباد ، أما أهل الكتاب فقد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم يقول الله تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} (الأعراف:١٥٧) فلذلك نجد أن الطهارة عند اليهود فيها تشدد ملحوظ فلا يعتقدون بطهارة الأواني والحلل والسكاكين والملاعق إلا بعد غسلها عدد من المرات مع الصلاة عليها ، ويحرمون طبيخ اللحم في السمن أو الزبدة ، بل يجب أن تطبخ في زيوت ، كما يحرم وضع اللحم في إناء قد وضع فيه لبن أو جبن من قبل ذلك ، أو أن تستعمل سكين واحدة في تقطيع اللحوم والجبن، ولذلك يتعين على اليهودي الأكل بأوان تخصص للحوم فقط توضع في مكان ، وأخرى للألبان ومشتقاتها وتوضع في مكان آخر(١)، وأما الطهارة للصلاة فلابد فيها من تنظيف الثياب وغسلها وغسل الجسم وتنقية الأوساخ ، ولا يجوز عندهم ذكر اسم الله في الصلاة أوفي غيرها مادام الإنسان غير طاهر ، ولا تجوز الطهارة عندهم إلا بالماء الذي يصلح للشرب ، فالماء الذي لا يشرب لملوحته أو مرارته لا تصح به الطهارة عندهم فلذا فإن مياه البحار والمحيطات لاتصح بها الطهارة .

أما الدين الإسلامي فتظهر وسطيته في الطهار من أمور كثيرة منها ، أن المسلم إذا لم يجد ماء أو كان مسافراً أو به مرض أو جرح لا يستطيع أن يتوضأ بالماء ، فله أن يتيمم صعيداً طيباً فضلاً من الله تعالى {وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ

---

١ الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود (٦٥- ٦٦)

لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }(المائدة:٦) وجاء تأكيد هذا الأمر في السنة النبوية في السنة فقال عليه الصلاة والسلام (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[١] فمن مظاهر الوسطية في هذا الدين إن العبد إذا لم يجد الماء أو وجد مالا يكفيه للطهارة فيجوز له التيمم ، للحديث الذي سأل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام الرجل الذي لم يستطع الصلاة وهو جنب ولا ماء عنده فقال له (عليك بالصعيد فإنه يكفيك) [٢] وإذا كان العبد مريضاً أو جريحاً وخاف استعمال الماء لحديث جابر رضي الله عنه قال خرجنا في سفر فأصاب رجل منا حجر ، فشجه في رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أُخبر بذلك فقال (قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا ؟ فإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل سائر جسده)[٣] وإذا كان الماء شديد البرودة وغلب على ظنه حصول ضرر باستعماله ولم يستطع تسخينه فيجوز له التيمم كما حصل مع عمرو بن العاص صلى بأصحابه وهو جنب وعندما سأله الرسول عليه الصلاة والسلام قال: تذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً[٤] وهذا إقرار من النبي صلى الله عليه وسلم، والإقرار حجه لأنه لا يقر على باطل ، ويجوز للعبد أن يتيمم في حالات أخرى ، ومنها إذا كان الماء قريباً منه، إلا أنه يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله أو فوت الرفقة ، أو حال بينه وبين الماء عدو يخشى منه ، أو عجز عن استخراج الماء لفقد آلة الماء كحبل ودلو ، وإذا احتاج إلى الماء حالاً أو مآلاً لشربه أو شرب غيره ، ولو كان حيواناً ، أو احتاج له لطبخ أو عجن ، أو إزالة نجاسة غير معفو عنها ، فإنه يتيمم ويحفظ ما معه من الماء ، وإذا كان قادراً على استعمال الماء لكنه خشي خروج الوقت أو فوات الجماعة باستعماله في الوضوء أو الغسل، فإنه يتيمم ويصلي ولا إعادة عليه ، ومن يسر ووسطية هذا الدين

---

١ البخاري كتاب التيمم – باب قول الله تعالى (فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا) (٣٤٩/١) ، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة – (١٤/٥)

٢ البخاري كتاب التيمم — باب الصعيد الطيب (٣٥٤/١)

٣ أبو داود —كتاب الطهارة — باب إذا خاف الجنب البرد ح (٢٨٣) وأحمد في مسنده ح (١٧١٤٤)

٤ أبو داود —كتاب الطهارة — باب إذا خاف الجنب البرد ح (٢٨٣) وأحمد في مسنده ح (١٧١٤٤)

جواز المسح على الجوربين للمقيم يوم وليلة ، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ، على أن يكون قد لبسهما على طهارة ، أما بالنسبة للمسح على الجبيرة والعصابة ونحوها مما يربط به العضو المريض ، فحكمه الوجوب ، ولا يشترط فيه تقدم الطهارة على شد الجبيرة أو العصابة ، ولا توقيت فيها بزمن ، بل يمسح عليها دائماً في الوضوء والغسل مادام العذر قائماً ، هذا بالنسبة للطهارة المادية [١] أما الطهارة المعنوية في الدين الإسلامي فإنه يتوب وينوب إلى الله تعالى بالتوبة الصحيحة التي تشتمل على الندم على ما فات والإصرار على عدم الرجوع للذنب ، والإقلاع عن الخطأ وإذا كان الذنب مع الآخرين يحاول التحلل منهم بطرق لا تؤدي إلى الضغينة وبذلك يتنقى من الأخطاء والمنكرات يقول الله تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}(الزمر:٥٣) أما الطهارة المعنوية عند النصارى فلا تتم إلا بطريقة التعميد الذي يتم بالماء ثم دهن الصدر بالزيت المبارك ، على أن يكون الماء من نهر الأردن ويقوم بالتعميد (كاهن باسم الأب والابن وروح القدس) ولا يقوم به غير الكهنة إلا عند الضرورة ، وحينئذ يُسمى تعميد الضرورة وعلى أن يجري ذلك بتغطيس الإنسان ثلاث مرات الأولى باسم الأب والثانية باسم الابن والثالثة باسم روح القدس فهم يعتقدون أن سر المعمودية أنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس ، فالتعميد عندهم فريضة مقدسة وهو يدل على الاعتراف العلني بالإيمان والطاعة للأب والابن والروح والقدس ، ولا يجوز التعميد عندهم إلا إذا اعترف الإنسان بإيمانه جهاراً أمام كنيسة الله ، ويظهر مدى إفراط النصارى في استعمال الطهارة وحق الغفران حيث تمتلك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا ويجب أن تكون في الكنيسة ، وقد أفرط بعض رجال الدين في النصرانية فأنشأوا صكوكاً تباع وتشترى فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ومتعها ، فبذل العصاة في سبيلها المال، وما كان عليهم من حرج ، في أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات ، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاصي، مادام ذلك يفتدى بمال قل أو جل[٢] أما الطهارة المعنوية عند اليهودية فإنها تتم عن طريق يوم التكفير والغفران ، وهو اليوم العاشر من شهر أكتوبر ، وهو من أهم أعيادهم ، وأقدس أيام السنة عندهم ، وهو عندهم ذكرى نزول موسى عليه السلام من جبل سيناء ومعه الشريعة وأعلن لهم فيه أن الله قد غفر لهم خطيئتهم في عبادتهم للعجل ، ويبدأ قبل غروب الشمس من اليوم

---

١ اليسر والسماحة في الإسلام لفالح الصغير (٢١٢- ٢١٣)

٢ محاضرات في النصرانية (١٥٨)

التاسع من أكتوبر ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم التالي ، ويشرع لهم فيه الصيام ويطلبون فيه المغفرة عن الذنوب [١] .

المسألة الثانية : الرخصة في الصلاة :-

من ملامح الوسطية في الإسلام رفع الحرج والمشقة والسماحة واليسر في الأحكام ، ويظهر ذلك واضحاً في الرخص المخففة التي تدل على اليسر ورفع الحرج في العبادات والتكاليف بصفة عامة وفي الصلاة بصفة خاصة ، بخلاف الصلاة عند اليهودي حيث تختلف الأوقات الرسمية للصلاة المحددة باختلاف اليوم ، ففي يوم الغفران (الكبَّور) وهو أقدس أيام السنة ، توجد خمس صلوات، أما أيام السبت والأعياد ورأس الشهر فتقام أربع صلوات ، وأما في الأيام الأخرى من السنة فتقام ثلاث صلوات ، وهناك أنواع صلاة غير شفوية مثل النفخ في الشوفار(البوق) يوم رأس السنة ، وهي ما يمكن اعتباره نداء صادراً عن الذات الداخلية ، ومدة الصلاة تختلف من وقت لآخر فصلاة الصبح تستغرق عادة ٤٥ دقيقة ، بينما تكون صلاة العصر والمغرب أقصر منها وتستغرق كل منهما حوالي ١٥ دقيقة ، والجماعة عندهم لا تصح إلا بعشرة أشخاص بالغين وعندهم صلاة فردية أي شخصية وهي صلاة ارتجالية يقوم بها الأفراد على حسب الظروف والاجتهادات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمواسم وعلى اليهود أن يرتدوا شال الصلاة (الطاليت) وكلمة طاليت اسم عبري يعني شال أو عباءة ، ويختلف ارتداء الشال باختلاف الطوائف اليهودية وطبقاً للطقوس ، ولطهارة الشال أحكام خاصة حيث إنه لا يجوز للنساء لمسه ، ويخصص له مكان معلوم في المنزل ، ولا بد لليهودي من لبس التفيلا على الرأس وفي اليد حيث يلف في الأصبع الأوسط مره حول العظمة الوسطى ومرتين حول العظمة السفلى ثم حول المعصم ويزال (التفلين) بعد الصلاة حسب الترتيب الذي وضع به ، فكل هذه الأمور تدل على الإصر والأغلال والصعوبات عندهم .

أما الرخصة في الصلاة في الإسلام فتظهر من أمور متعددة : منها إن الله تعالى فرضها خمس مرات في اليوم والليلة ، فلا تستغرق وقتاً طويلاً ، ولا تشغل الإنسان عن أداء أعماله اليومية ، وقد فرضت في البداية خمسين صلاة عندما عُرج بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماء السابعة ، ثم صارت خمس صلوات في العدد وخمسين في الأجر ، إكراماً للنبي عليه الصلاة والسلام وتخفيفاً عن أمته ، مع جواز

---

١ اليهودية والنصرانية (١٣٦)

الصلاة في أي مكان من الأرض حيث لم تصح عند الأمم السابقة إلا في البيع والصوامع ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل) [١] ويشرع الجمع والقصر أثناء السفر أو المطرأو المرض أو الخوف ، ففي السفر تقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين يقول الله تعالى { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ } (النساء:١٠١) ويجوز الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما ، فيجمع الظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء جمع تقديم أو تأخير لفعل النبي عليه الصلاة والسلام ذلك في السفر، ويجوز الجمع بين الصلاتين أيضاً في حالة المطر وحالة المرض ، كما يجوز للمريض الذي لا يستطيع القيام أن يصلي قاعداً، فإن لم يستطع صلى على جنبه يؤمى بالركوع والسجود ، ويجعل سجوده اخفض من ركوعه ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبك)[٢] وحث الإسلام على تخفيف الصلاة في الجماعة وعدم الإطالة فيها ، لأن صلاة الجماعة تجمع بين الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة فينبغي مراعاة ذلك، قال الرسول عليه والسلام : لمعاذ عندما أطال الصلاة (يامعاذ: أفتان أنت– ثلاث مرات – فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)[٣] ويقول: (إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه)[٤] ورفعت الصلاة عن الحائض والنفساء، ولا تقضي بعد الطهر، ويجوز حمل الطفل أثناء الصلاة ، وذلك لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا حدث سهو للمصلي بزيادة أو نقص– في غير الركن – جبر ذلك بسجود السهو دون إعادة الصلاة، كل هذا اليسر وهذه السماحة والوسطية جاءت في الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة التي هي عماد الدين – وفي هذا دليل ناصع على يسر هذا الدين ووسطيته [٥]

---

١ سبق تخريجه

٢ البخاري كتاب الجمعة – باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب ح (١٠٥٠)

٣ البخاري كتاب الآذان – باب من شكا إمامه إذا طول (١٥٩/٢)

٤ البخاري كتاب الآذان – باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (١٦٠/٢) – ومسلم كتاب الصلاة – باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة(١٨٣/٤)

٥ اليسر والسماحة في الإسلام (٢١٥)

المسألة الثالثة : الرخصة في الصيام :-

الصيام يُطلق على الإمساك والمقصود به هنا : الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية وهو الركن الرابع من أركان الإسلام ويظهر فيه وسطية ويسر الإسلام بخلاف الصيام عند اليهود حيث يُعتبر رمزاً للحداد والحزن عندهم على ما حصل لهم في السابق ، وكان يلجأ إليه عندهم إذا هددهم خطر ، أو إذا وجد كاهن أو ملهم يعد نفسه لإلهام أو نبوة ، وكان اليهود يصومون مؤقتاً إذا اعتقدوا أن الله ساخط عليهم غير راضي عنهم، أو إذا حلت بالبلاد نكبة عظيمة أو خطب كبير، أو إذا أصيبت البلاد بوباء فاتك، أو بجدب عام ، وفي بعض الأحيان عندما يعزم الملوك على مشروع جديد، ولليهود صوم فرضه الله عليهم وهو صوم اليوم العاشر من الشهر السابع – يسمى يوم (كبَّور) يعني يوم الكفارة عن عبادتهم للعجل الذهبي في أثناء غياب موسى عنهم لتلقي الألواح من ربهم ، ويحرمون العمل فيه ، ويبتدئ الصوم من غروب اليوم التاسع إلى غروب اليوم العاشر ، ثم إن أحبارهم شرعوا صوم أربعة أيام أخرى وهي الأيام الأولى من الأشهر وهي تقع في الشهر الرابع (تموز) وفي الشهر الخامس(آب) وفي الشهر السابع ، والشهر العاشر ، ويوضح لهم التلمود أن صيام هذه الأيام إجباري عندما يعيش الشعب الإسرائيلي تحت قسوة الحكومات الأجنبية وفي اضطهاد ولا تلزم عندما يتمتع الإسرائيليون بأمن ورخاء ، مع أن الحديث الصحيح وضح أن عندهم صوم التطوع كما قال عليه الصلاة والسلام (إن أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) [١] أما الصيام عند النصرانية فإنهم يصومون عن الكلام عند طائفة الكاثوليك ، وتجد أن بعض طوائف الكاثوليك، يفرضون على أتباعهم الصيام مدى الحياة واعتزال العالم في مهاجر يقيمون فيها صائمين صامتين عن الكلام حتى الموت ، والصيام عند النصارى إمتناعهم عن بعض المأكولات والمشروبات دون بعضها فيصومون فقط عن الحيوانات البرية وما يستخرج منها وبعض صيامهم يقتضي منهم الامتناع عن تناول لحوم الحيوانات البحرية وما يستخرج منها ، ومن أنواع الصيام عندهم ما يقتضي الإمساك عن المفطرات نهار اليوم والليل ، وبعضهم يصوم الليل والنهار حيث يبدأ الصيام من العشاء إلى غروب شمس اليوم التالي ، وبذلك يظهر التضارب والتناقض في أحكام الصيام عند اليهود والنصارى فلا يجدون أنظمة أو قوانين محددة للصيام بخلاف الأمر عند المسلمين حيث تظهر سماحة

---

١ البخاري كتاب النكاح – باب لزوجك عليك حق (٩/ ٢٤٥) ، ومسلم في الصيام – باب النهي عن صوم الدهر رقم (١١٥٩)

الإسلام فيه حيث إن الله تعالى فرضه في شهر واحد من السنة وهو شهر رمضان{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} (البقرة: ١٨٥) وهذا تيسير وسعة في هذا الفرض ، بحيث يتمكن المسلم القادر على الصوم من أدائه دون مشقة أو عنت ، وإن وقت الصيام من الفجر إلى غروب الشمس ، ولا يجوز الزيادة في الوقت ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الأفطار وأخروا السحور) [١] ونهى الشارع عن وصال الصوم وهو وصل صيام يومين أو ثلاثة متتاليات لما في ذلك من مشقة وعنت على النفس يقول عليه الصلاة والسلام (إياكم والوصال قالها ثلاثاً قالوا: فإنك تواصل يارسول الله قال : إنكم لستم في ذلك مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون)[٢] ومن فطر خطأً أو نسياناً فإنه يكمل صومه ولا حرج عليه، ولا يجب عليه قضاء هذا اليوم يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من أكل ناسياً وهو صائم فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه)[٣] وأجاز الشارع الإفطار في حالة السفر أو المرض ويباح لهما الفطر وقضاء الأيام التي أفطرها كل منهما بعد شهر رمضان ، يقول الله تعالى{وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } (البقرة :١٨٥) كما يرخص الفطر للشيخ الكبير، والعجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه، وأصحاب الأعمال الشاقة ، الذين لا يجدون متسعاً من الرزق غير مايزاولونه من أعمال ، هؤلاء جميعاً يرخص لهم في الفطر وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكيناً، كما يجوز للحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على أولادهما الفطر ، ومن مظاهر الوسطية في الصيام أن قضاء رمضان لا يجب على الفور بل يجب على التراخي في أي وقت من خلال السنة فالصيام تظهر فيه الوسطية بكافة أشكالها وهذا ما يقوم به أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والضلال .

المطلب الرابع : الوسطية في الفكر وفيه أربع مسائل:-

المسألة الأولى : الوسطية في المنهج الفكري:-

---

١ أحمد في مسنده ح (٢٠٣٥٠)

٢ مسلم كتاب الصيام – باب النهي عن الوصال في الصوم ح (١١٠٣)

٣ البخاري كتاب الصيام – باب إذا حنث ناسياً في الإيمان ح (٦٢٩٢)

إن الدين الإسلامي تتفق شريعته مع العلم والعقل والتفكير فهو قادر على مسايرة تطورات الزمن المتجددة ، ويجيب على ضوء المصلحة على كل مسألة من مسائل الأحكام الدستورية ، والمدنية ، والجزائية والشخصية التي لا نص فيها [1] ، فلذلك فإن الشريعة الإسلامية جعلت قواعد عامة لا تقبل التغيير والتعديل ، وهناك أحكام تفصيلية وتطبيقات للأحكام قد تتغير فيها الأحكام تبعاً لتغيرات المصالح والأزمان ، ولذلك كان للفكر والعقل مكانة عالية في الدين الإسلامي ومن أهم الأدلة على ذلك أن ألفاظ الألباب ، والأحلام ، والحجر وذكر أعماله كالتفكر والتذكر والتدبر ، والنظر ، والاعتبار ، والفقه ، والعلم، فهذه الألفاظ العقلية الفكرية لا تكاد تخلو من ذكرها سورة من كتاب الله تعالى ويرد ذكرها على أنها أوصاف مدح وكمال للمتصف بها ، وأن انتفاءها أو نقصانها مذمة شرعية ، وهذا يدل دون شك على رفع الإسلام من شأن الفكر السليم ، وتكريمه له واحتفائه به، كيف لا ، وقد جعل الشارع العقل مناطاً للتكليف وشرطاً لقيام الحجة .

لهذا نجد أن الوسطية في المنهج الفكري في الدين الإسلامي واضحة ومبينة ولها فوائدها المتعددة ، حيث إن تغيب الوسطية يؤدي إلى بروز العنف والإرهاب وعندما تتحقق ينعدم ذلك كله ، فالفكر الإسلامي يتسم بالوسطية في منهجيته الفكرية وذلك بانعكاس وسطية الإسلام الشاملة عليه ، فتبرز تلك الوسطية في الموقف من قضايا الفكر والاجتهاد ، بعيداً عن مظاهر الغلو أو التعصب الفكري ، أو إضفاء العصمة على ما ابتدره الفكر الإنساني وأنتجه العقل المنضبط بهدي الوحي وتوجيهاته ، ويمكن استشفاف معالم هذه الوسطية الفكرية بالوقوف على بعض المبادىء التي هي محط إجماع العلماء والمفكرين المسلمين ، ولا يشذ عنها ولا يخالفها إلا الغلاة أفراداً وجماعات على أن أبرزها ما يأتي : نسبية الفهم الإنساني والرأي الاجتهادي وتغليب الظن فيه على القطع بصوابه، والوسطية في الفتوى الفقهية بعيداً عن التعسير أو التضييق أو الانحراف أو التمييع، مع وسطية الموقف من الآراء والأفهام المخالفة والاجتهادات المغايرة ، وكذلك الوسطية في الموقف من أصحاب الآراء والاجتهادات المخالفة والتعامل معهم، وبناءً على هذه المبادىء والأسس، فإن الفكر الإسلامي يتسم بالموضوعية والقدرة على التفريق بين الإسلام المقدس، المتمثل بالمضمون الصريح للنص الصحيح من القرآن الكريم والحديث

---

١ الحوار الإسلامي المسيحي – لمجموعة من العلماء المسلمين وأوربا ، الحوار الإسلامي (١٤)

النبوي قطعي الورود والدلالة، والذي لا يحتمل الخطأ أو مجانبة الصواب، وبين نتاج الفكر الإسلامي الذي يحتمل الخطأ والصواب ولا يمكن بأي حال أن يرقى إلى درجة الوحي الإلهي .

ويشتمل الفكر الإسلامي النتاجات الآتية : الأفهام المتباينة والمتعددة لبعض نصوص الوحي غير الصريحة أو غير المحسومة بفهم واحد لا يحتمل غيره ، والأراء والأفهام والاجتهادات المتعلقة بفروع الدين والمسائل الاجتهادية الخلافية والتي يُعد الاختلاف فيها من اختلاف التنوع لامن اختلاف التضاد، والاراء الاجتهادية المتصلة بمستجدات الأمور والمسائل الطارئة في مختلف مجالات الحياة والتي لا يوجد حولها حكم سابق ، والاجتهادات المتعلقة بتنزيل الإسلام وقيمه إلى الواقع من وسائل وأساليب ورؤى وأعمال تُعد من آليات العمل الإسلامي واجتهاداته ، والآراء والأفهام والتطبيقات المتصلة ببعض الجوانب الحيائية استمداداً من الإسلام في المجالات التي تحسم بآلية معينة بل تركت لتطورات العصر واجتهادات المسلمين، مثال ذلك آليات النظام السياسي وتفعيل الشورى ، وتنظيم شؤون المجتمع والدولة الإدارية والقضائية وغيرها من المجالات ، ففي هذه النتاجات الاجتهادية للفكر الإسلامي لا مجال لأحد فيها أن يحتكر الحق المطلق والصواب المحض في رأيه ومنهجه ويضفي عليه العصمة والقداسة بل هي نتاج ظني لا قطعي ، ولا ضير من الأخذ والرد فيها ، والقبول والرفض ، وهذا يقتضي تقدير وجهات النظر المخالفة وعدم الحكم عليها بالاختلاف أو الانحراف مادامت اجتهاداً مشروعاً منضبطاً وبهذا التفصيل يتضح المنهج الفكري الوسطي عند المسلمين ، بخلاف السوقسطانية والسمئية [1] الذين ينكرون أن يكون العقل وفكره من أسباب المعارف أصلاً[2] محتجين بأن أحكام العقل متناقضة وهذا منهم تعنت ومكابرة ، فإن العلوم الثابتة ببديهة العقل ضرورية كالمحسوسات ، مثل العلم بأن الشيء أعظم من جزئه ، وإن جزأه أصغر من كله ، فمن أنكر حكم العقل على الإطلاق ، وأن يكون من أسباب المعارف ، فهو بمنزلة من ينكر الحواس ، ويعامل معاملتهم ، كأن يقال له : بم علمت أن العقل ليس من أسباب المعرفة ، فإن قال : بالعقل ، نقض مذهبه ، وإن قال بالحس كذب ، فإن العقل عرض لا يحس ، وهو ينكر الحس أصلاً ، وإن قال بالسمع ، فهذا نقض لمذهبهم ، فإن معرفة صحة السمع لا تكون إلا بالعقل ، فلم يبق لهم دليل على زعمهم إلا المكابرة والعناد ، وقد أجمع العلماء

١ التبصير في الدين (١٤٩) ، والرد على المنطقيين (٣٢٩) ، وتبصرة الأدلة (١/١٧-١٨)

٢ مفتاح دار السعادة (١/١١٧) ، الذريعة إلى مكارم الشريعة (١٦٩) ، وإحياء علوم الدين (١/١٠٢)

على أنه لا مناظرة مع أمثال هؤلاء ، وتظهر وسطية الفكر عند المسلمين أيضاً إذا قارنا بينه وبين الفلاسفة المقدسين للعقل والفكر حيث قدموا فكرهم على الأدلة النقلية وعارضوها بفكرهم وعقولهم .
أما اليهود والنصارى فقد قدسوا الفكر البشري وعظموه ولذلك جعلوا الأحبار والرهبان بمنزلة الآلهة يحللون لهم ، ما يحرمه الله ويحرمون لهم ما أحله الله تعالى ، وبهذا تظهر مدى وسطية المنهج الفكري في الإسلام وهذا ما تمسك به أهل السنة والجماعة فخالفوا أهل الضلال .

المسألة الثانية : الوسطية بين القديم والجديد :-

إن الدين الإسلامي دين الوسط بين التسليم المطلق ووراثة كل شيء عن الأجداد وبين أولئك الذين يرفضون كل شيء عن الماضي ولا يسلمون به حتى يقفوا بأنفسهم على حقيقته ، ويتفرع من هذه القضية مسألة القديم والجديد ، ففريق يقبع عند القديم ولا يأخذ بالتجديد ، وفريق آخر يتنكر للقديم بكل مافيه ويلهث وراء كل جديد بدون تمحيص، إلا أن الناظر بانصاف يدرك أنه كما في الجديد حسنات ففي القديم حسنات، وكما في القديم سيئات فلا يخلو الجديد من ذلك، ولذلك فلا بد من الأخذ بأحسن القديم وأحسن الجديد، ولقد هيأت هذه الميزه بما حملته من الإيجابية والتفاعل بحيث جعلت موقف الإسلام وعقيدته دائماً قائمين على أساس العدل والانصاف والنظر المجرد المبرأ من كل هوى أو طيش، المستند إلى قاعدة ثابتة في الإسلام لا مجال للتلاعب فيها أو تحريفها، وتتمثل في ضرورة أن يكون المسلم سباقاً إلى كل خير وجميل وبغض النظر عن مصدر مالك الخير[1] فالإسلام وقف موقف الوسط في هذه المسألة فلم يصر على الأخذ بالقديم ، كما فعلت الأمم السابقة كقوم نوح وموسى وغيرهم مع أنبياءهم بالتمسك بالقديم، وكما استدلت قريش واليهود على صحة دين قريش لكونه بزعمهم أقدم من دين الإسلام كما جاء ذلك في سبب نزول[2] قول الله تعالى{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ

١ مدخل جديد إلى عقيدة التوحيد (٢٨)

٢ أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢٣/٥) ط دار الفكر ، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٣/٣) ، والطبراني في المعجم الكبير(٢٥١/١١)

سَبِيلاً} (النساء:٥١) وقد أخبر الله تعالى أن هذه الحجة حجة قرشية بقوله{ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ.مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ } (ص:٦-٧) يقول ابن عباس: رضي الله عنهما المراد بالملة الآخرة: النصرانية[1] وهذه الخصلة التمسك بالقديم مازال موجوداً عند أهل البدع والضلال حيث يستدلون على بدعهم بكون المتقدمين كانواعليها ولا يرون بها بأساً كبدع القبور والتصوف والأسماء والصفات وغيرها [2] ولم يأخذ بالجديد بكل ما فيه من سلبيات فكان متوسطاً في ذلك بخلاف الذين يطعنون في الإسلام وينبزون المسلمين وذلك بتلفيق أوصاف تشمئز منها النفوس الزكية وتنفر منها العقول النقية فتراهم يقولون عن المسلمين، رجعيين – متزمتين – جامدين – جاهلين – متخلفين، متطرفين وآخر هذه التلفيقات دعوة الأمة الإسلامية إلى الإسلام العقلاني وهي أحبولة جميلة ، لا يملك ساذج إلا أن يقبل بها، حتى لا يتهم بالغباء ، لأن الإسلام نص في كتابه العظيم وفي عشرات الآيات على وجوب التفكر والتدبر ، واستخدام العقل ، وأُلزم بإعمال النظر في ملكوت السماوات والأرض ، وعدم الخرور على الآيات خرور الصُّم والعميان بل استقبالها استقبال المتدبرين ، كما أن القلوب التي لا تتدبر الآيات إنما هي قلوب غلف ختم الله عليها فلا تعقل .

فالإسلام العقلاني في حقيقته : إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرد – أو الهوى المجرد – الذي يستقبح اليوم ما كان حسناً بالأمس، ويستقبح في وقت ماكان حسناً عنده في وقت سابق ، فالعقلانية يراد بها عموماً : المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل ماهو موجود يرد إلى مبادىء عقلية: وخصوصاً: الاعتداد بالعقل ضد الدين، بمعنى عدم تقبل المعاني الدينية إلا إذا كانت مطابقة للمبادىء المنطقية[3] فلذا فإنهم يشككون في القرآن والسنة ويطعنون في أئمة أهل السنة والجماعة القدامى يقول حسن الترابي(يبدوا أننا محتاجون إلى تفسير جديد، فإذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه ، كل تفسير يعبر عن عقلية عصره، إلا هذا الزمان لا تكاد تجد فيه تفسيراً عصرياً شافياً) [4] ويقول أيضاً(لابد لنا أن نعيد النظر في الضوابط التي وضعها البخاري ، فليس هناك داع لهذه الثقة المفرطة في

---

١ أخرجه ابن جرير قي تفسيره (١٢٦/٢٣)

٢ مقالات الكوثري (١٥٧-١٥٩)

٣ العقلانيون أفراخ المعتزلة (٤٥- ٤٦)

٤ تجديد الفكر الإسلامي للترابي (٢٥)

البخاري، والمسلمون اليوم إعجابهم بالبخاري زائد فمن وثقه فهو الثقة ومن جرحه فهو المجروح ومن عدله فهو العدل ، لماذا نعدل كل الصحابة؟ ليس هناك ما يوجب ذلك ، لقد أُستخدمت وسائل كثيرة يمكن أن تستغل في هذا المجال ماكان البخاري ولا غيره يعرفها)[1] ويقول الدكتور محمد عمارة (لقد انتقضت المعتزلة كفرقة ولكنها استمرت نزعة عقلية، وفكراً قومياً، وأصولاً فكرية ، من خلال فرق أخرى تأثرت بها، ومن خلال البصمات التي طبعتها على المجرى العام الخالد والمتدفق والمتطور) [2] ويقول فهمي هويدي (ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل في عبادة القوالب والرموز، في عبادة النصوص والطقوس)[3] وهذا الأمر وهو تقديس الجديد موجود الآن عند العصرانيين والحداثيين والعلمانيين والليبراليين الذين ينادون بإلغاء النصوص النقلية أمام العقل والفكر والتجديد والتحديث ، وبذلك يتضح وسطية الدين الإسلامي الذي يأخذ بالقديم النافع والجديد المفيد ما دام لم يخالف الدين الإسلامي ، وهذا ما تمسك به أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والانحرافات .

المسألة الثالثة : الوسطية في تكريم العقل :-

إن الناس قد تفاوتوا في موقفهم من العقل تفاوتاً عظيماً فمنهم لايقول بمحسوس ولامعقول وهم السوقسطانية[4] الذين يعتمدون على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة مع تعمد النصر على الخصم ، ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم أهل الطبيعة الذين يعبدون الطبائع الأربع أي: الحرارة ، البرودة ، الرطوبة ، اليبوسة لأنها عندهام أصل الوجود [5] وهذه نزعة مادية قديمة وهي اليوم متمثلة في المذاهب الإلحادية التي تجعل من الطبيعة إلهاً لهذا الكون، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية [6] الذين عطلوا المخلوقات عن

---

١ مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي (٥٧)

٢ العقلانيون أفراخ المعتزلة (٦٢)

٣ مجلة العربي – العدد (٢٣٥) كانون الثاني (١٩٧٨م) ص (٣٤)

٤ الموسوعة الفلسفية (٢٤٩- ٢٥٠) موسوعة العلوم السياسية (٢٨٩- ٢٩١)

٥ الملل والنحل – تحقيق كيلاني (٢/ ٢٠١- ٢٢٨) الموسوعة الفلسفية (٢٧٨) ، الوجود الحق (٣٧- ٣٨) الاتجاهات الفكرية المعاصرة (٤٨)

٦ الفصل (٢٤٧/١) ، الملل والنحل (٢/ ٦١) ، البرهان (٨٨)

خالقها وقالوا ما ذكره الله عنهم { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } (الجاثية :٢٤) ومنهم من يقول بهذه كلها ، وبشريعة ، ولا يقول بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والمجوس والنصارى ، ومنهم من يقول بهذه الأحكام كلها وهم المسلمون [١] الذين توسطوا في موقفهم من العقل فأعطوه ما أعطاه الله إياه من الثناء على أرباب العقول والحث على النظر والتفكر والاعتبار واستخدام العقل وذم التقليد دون دليل ، مع محاربة الشعوذة والخرافة ، بل علق الشارع التكليف بالعقل ، وجاءت الشريعة الإسلامية وجعلته من الضروريات الخمس التي جاء الدين الإسلامي بحفظها فلم يجعلوه الإله المعبود ولم ينقصوه حقه فالدين الإسلامي وسط بين طرفين في قضية العقل : الطرف الأول الفلاسفة إتباع المنطق اليوناني عمدتهم تحكيم العقل ابتداءً وانتهاءً في جميع المسائل العقدية بمعزل من الوحي ، ويتبعهم في ذلك المتكلمون فاعتبروا النظر أو القصد إلى النظر أو الشك أول واجب على المكلف ، وليس الإيمان الذي هو مقتضى الشرع والفطرة والعقل الصريح فغلا هؤلاء في العقل وقدموه على النقل، وجعلوا النقل تابعاً لا متبوعاً، فما وافق عقولهم من النصوص قبلوه وما خالف عقولهم ردوه أو حرفوه، ويمثل هذا المنهج اليوم العقلانيون والعصرانيون والحداثيون والعلمانيون والليبراليون الذين يزعمون أن العقل أول المخلوقات، ومع تنقصهم للأدله النقليه إلا أنهم يستدلون بأحاديث لا تصح في تعظيم العقل ومنها (لما خلق الله العقل قال : له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، فقال، ما خلقت خلقاً أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي) وقد وضح شيخ الإسلام يرحمه الله وتلميذه ابن القيم وضع تلك الأحاديث واستشهدا برأي الدارقطني الذي ذهب إلى أن الأحاديث المتصلة بالعقل كلها وبصيغها المختلفة لا يثبت منها شيء، ويتعجب شيخ الإسلام من هؤلاء الذين استهدفوا الجمع بين الشريعة الإلهية والفلسفة اليونانية لأنهم لم يجعلوا عمدتهم في مذاهبهم على هذه الأحاديث الثابت وضعها فحسب، وإنما غيروا طبيعتها وعدلوا فيها فأصبح (أول ما خلق الله العقل ، فقال له:أقبل) وجعلوا هذا حجة وموافقاً لما يقوله الفلاسفة المشاؤون إتباع ارسطوا من قولهم أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل الأول، وقد تتبع العلماء أحاديث العقل فوجدوها كلها لا أساس لها [٢] ومع ذلك يردون الأحاديث الصحيحة[١] أما الطرف الثاني: الخرافيون[٢] الذين اتخذوا

---

١ الملل والنحل – تحقيق الكيلاني (٢/٤-٥)

٢ تاريخ بغداد (٨/٣٦٠) ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف (٦٦- ٦٧) ، الملل والنحل (٢/٤، ١١٩)

دينهم هزواً ولعباً وهم أهل التجهيل المفوضة الذين يحجبون العقل عن المعرفة تماماً، الغوا عقولهم واستهوتهم الشياطين بالوساوس والايحاءات الباطلة فاعتمدوا على ما يسمونه بالكشف والذوق والوجد وغيرها من المقامات والأحوال، ونحوا الشرع والعقل جانباً وتبعهم في ذلك الصوفية الغلاة يقول شيخ الإسلام يرحمه الله عنهم (هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية فلا يجعلون عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته في باب معرفة الله علوماً عقلية ولا سمعية وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة)[٣] ومن هنا يظهر سلامة الدين الإسلامي ووسطيته من العقل واستخدامه حيث إن العقل عنده يمكن أن يستقل بمعرفة قضايا العقيدة على وجه الإجمال [٤] لا على وجه التفصيل، ولا سيما فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله لهذا لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفته وإدراكه على التفصيل، يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت التشريع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة كمال بناءً على القاعدة السلفية ، وإلى أن الرجوع إلى النصوص في الإثبات لا ينفي إثبات العقل لها ، بل هو موافق للسمع)[٥] فالدين الإسلامي توسط في مسألة العقل وهذا ما تمسكت به أهل السنة والجماعة بخلاف من ضل في هذا الباب .

المسألة الرابعة : الوسطية بين النقل والعقل :-

إن الدين الإسلامي حثنا على عدم الخوض في المسائل العقدية وخاصة الغيبية التي لا مجال للعقل قيها، فجعل للعقل حداً لا يتجاوزه فمثلاً عند المرور بآيات الصفات لله عز وجل يكون استعمال العقل هنا هو محاولة استحضار عظمة المتصف بهذه الصفات، والتجاوز هو محاولة معرفة كيفية هذه الصفة مما قد ينتج عنه تشبيه لله بخلقه ، أو تعطيل ذلك بحجة أن ذلك يعني التشبيه ، وأما الفلاسفة ومن تبعهم من المتكلمين فإنهم يعملون عقولهم في هذا التجاوز ، فضلوا عن الطريق الصحيح فأصبحوا بين محرف لها أو منكر لها بالكلية، والسبب هو جعل العقل وحده هو الحكم فيما لا يمكن إدراكه مع فصله عن الوحي فحصل الشك والضلال والانحراف لأصحابه عن المنهج القويم وتبع ذلك التكذيب بمسائل

---

١ انظر تأويل مختلف الحديث (٩٧- ١٨٨) ، أساس التقديس (١٠٣) ومشكلات الأحاديث (١٦٧- ١٧٥)

٢ الفتاوى (٥/ ٣٨)

٣ الفتاوى (٥/ ٣٨) .

٤ النبوات – ط المطبعة السلفية – القاهرة (٦٧- ٦٨) .

٥ درء تعارض العقل – ط دار الكنوز (١/٨٨) ، وشرح حديث النزول (١٤٤) ، ومختصر الصواعق المرسلة (١/١٥٦) .

عظيمة من أمور العقيدة ، فتقديمهم العقل جعلهم يشعرون بالتعارض والتناقض بين النقل والعقل ، فوضعوا قاعدة لهذا المنهج الفاسد وهي قولهم : إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل، أو الظواهر والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات فأما أن يجمع بينهما وهو محال [١] لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمنا هـ عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل والقدح في أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً فوجب تقديم العقل ، ثم النقل إما أن يتاؤل وإما أن يفوض ، وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما [٢] يقول شيخ الإسلام يرحمه الله (ومن كان له خبره بحقيقة هذا الباب تبين له أن جميع المقدمات العقلية التي ترجع إليها براهين المعارضين للنصوص النبوية، إنما ترجع إلى تقليد منهم لإسلافهم, لاما يعلم بضرورة العقل ولا إلى نظره, فهم يعارضون الأدلة العقلية على انه لا يجب تصديقه , بل قد علم جواز الخطأ عليه وعلم وقوع الخطأ فيما هو دون الإلهيات فضلا عن الإلهيات التي يتعين خطأ من خالف الرسل فيها بالأدلة المجملة المفصلة ... وهكذا أيضا عامة ما يحتجون به من الأدلة العقلية إذا وصلت معهم فيها إلى آخر كلامهم وما يجيبون به معارضاً لهم , وجدت كلامهم في ذلك يدل على نقيض قولهم ، وان ما يذكرونه من المناظرات العقلية هو على قول أهل الإثبات أدل منه على قولهم)[٣] فقولهم بتعارض النقل والعقل تم لهم لاستمرائهم البدع والذنوب, ويوضح ذالك ابن القيم يرحمه الله بقوله (إن هذه الشبهة لا تقوم ولا تتم إلى بعد ارتكاب أربعة أمور هي لبس الحق بالباطل, كتمان الحق, والتكذيب به والتصديق بالباطل, فإن معارضة الوحي بالعقل هو منهج إبليس عليه لعنة الله , وهو منهج اتباعه من بعده , فالذين حكموا العقل والمنطق هم أتباع مقلدون لايمكن إن يخرجوا عن مناهج أساتذتهم ومعلميهم ..فهم أبوا أن يتبعوا كتاب الله ويقلدوا محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام , ورضوا أن يقلدوا الصابئة والمشركين والفلاسفة والملحدين) [٤] أما الدين الإسلامي فجعل العقل الصريح موافق للنقل الصحيح لا يخالفه قط, لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ماجاء به الرسول عليه

١ المحال هو : الممتنع الذي ليس بشيء . انظر التمهيد للباقلاني (٣٥)

٢ درء التعارض ط دار الكنوز (٤/١)

٣ ابن تيمية السلفي (٥١/ ٥٢)

٤ الصواعق المرسلة (١/٩٨- ٩٩)

الصلاة والسلام فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول ولا تخبر بمحالات العقول[١] فعند توهم التعارض فالدين الإسلامي يقدم الشرع, لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به, والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به, ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل فإن الشرع ثابت كما قال شيخ الإسلام يرحمه الله (فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت في نفسه سواء علمنا بعقولنا أم لم نعلمه ، فهو مستغن في نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه ، وإلى أن نعلمه بعقولنا ، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالماً به... ولو لم يعلمه لكان جاهلاً ناقصاً)[٢] ويقول أيضاً (فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفه لم تكن له, ولا مفيدا له صفة كمال, إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم , تابع له ليس مؤثراً فيه) [٣] فظهر توسط الدين الإسلامي في موقفه بين النقل والعقل وظهر الاختلال عند من يقدم العقل على الوحي في الوقت الحاضر كالعلماينين والليبراليين والحداثيين والعقلانين وأهل التنوير, وظهر الموقف الحق لأهل السنة الذين تمسكوا بالوسطية التي جاء بها الدين الإسلامي .

المبحث الثالث : مزايا الوسطية على الفرد والمجتمع وفيه ستة مطالب :-

المطلب الأول : العيش في سلام وأمان :-

اعتبر الإسلام فقدان حالة السلام هي أول مشكلة يجب أن يعالجها لراحة الإنسان عن طريق فرض السلام وإشاعة العدل ، والإشادة بالسلام، وهذا هو سر جعل فكرة السلام ملازمة للدعوة إلى عقيدة الإسلام، مما يوجب علينا جميعاً أن نذكر للإسلام هذا الاهتمام العجيب بمبدأ السلام قبل منظمات العالم الدولية لحماية السلام، فالدين الإسلامي هو دين السلام لجميع البشر، فلا يجتمع مع العنف والاعتداء، لأنهما ضدان متناقضان، والمسلم مأمور بالبداءة بالسلام لكل من يقابله، وهي كلمة أمان ورحمة واطمئنان وإشاعة للأمن بين الناس جميعاً ، فلا يجتمع الضدان: السلام والعنف، بل إن المسلمين مأمورون بالبحث عن السلام والجنوح إليه إذا جنح العدو إليه ورغب فيه، وذلك في حال الحرب المعلنة ، فكيف بغير ذلك يقول الله تعالى { وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

---

١ درء التعارض ط : جامعة الإمام (٥/٢٩٧)، الفتاوى (١٧ /٤٤٣- ٤٤٤)

٢ درء التعارض ط دار الكنوز (١/٨٩)

٣ درء التعارض ط دار الكنوز (١/ ٨٨ ، ٥/٢٤٤- ٢٤٥)

الْعَلِيمُ.وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }(الأنفال ٦١-٦٢) فقوله سبحانه وتعالى(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) يجوز أن تكون اللام بمعنى إلى ، لأن جنح بمعنى مال ، ويجوز أن تكون معدية للفعل بنفسها وأن تكون بمعنى من أجل السلام ، وقوله سبحانه وتعالى (وإن يريدوا أن يخدعوك) أي بأن يظهروا لك السلم ويبطنوا الغدر والخيانة فاجنح فما عليك نياتهم الفاسدة ، فإن حسبك الله أي كافيك الله أي يتولى كفايتك وحياتك [١] وإنما قال (إن) ولم يقل (إذا) لأنها تفيد الشك بخلاف إذا لأنهم قد لا يميلون إلى السلم ، فالوسطية في الدين الإسلامي تجعل المجتمع يعيش في سلام وأمان واطمئنان لأن الله سبحانه وتعالى له سننه الكونية والشرعية ومن سنن الله عز وجل أنه امتن على عباده بنعمة الأمن وهي من أجل النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم فقال{إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}(الرعد :١١) فلو المجتمع عاش في ظل الوسطية التي ميزنا الله تعالى بها لعاش المجتمع في سلام وأمان ، وأما إذا حصل الإفراط أو التفريط وقع المجتمع في مخاطر لا تعد ولا تحصى فلذا فإن أهل السنة والجماعة يأخذون بالوسطية فيعيشون في سلام وأمان.

المطلب الثاني : إشاعة العدل :-

إن المجتمع إذا تمسك بالوسطية التي جاء بها الدين الإسلامي عاش في عدل واستقرار، فالعدل من العوامل الرئيسية والآداب السامية ، والأخلاق الرفيعة التي تؤدي إلى الوقاية من الظلم والطغيان، وبالتالي تقطع الطريق على التطرف والإرهاب، لأن عدم العدل بين الناس هو من أهم أسباب نشأة الفكر المنحرف والتطرف والإرهاب، لأن المظلوم أو المقهور إن لم يستطع نيل حقه بالطرق المشروعة، فقد يعلن عن غضبه بقيامه برد الظلم بمثله، ومن هنا ينشأ الإرهاب والتطرف والتشرذم والتفرق ولذلك كان أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل صريحا حيث قال{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل :٩٠) يقول ابن مسعود رضي الله عنه(هذه أجمع آية في القرآن لخير تمثل ولشر يجتنب) [٢] فقدم الله عز وجل العدل على الإحسان لأنه أعم وأشمل ، فالدين الإسلامي لم يفرق بين الناس في مسألة العدل بسبب الجنس أو الديانة أو العرق فلا يميز بين الناس إلا في مسألة الطاعة لله سبحانه وتعالى والتقوى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

١ التبيان في إعراب القرآن (٩/٢) ، وزاد المسير (٣٤/١)

٢ تفسير القرطبي (١٦٥/١٠)

إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }(الحجرات:١٣) ويقول الله تعالى في الحديث القدسي(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا) [١] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام(إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) [٢] فالإسلام دين الإنسانية والعالمية لذا فإن الله يأمر بالعدل الشامل الكامل حتى مع من يسيئون إلينا لأن العدل حق الله ولا ينبغي تجاوزه، يقول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة :٨) وهذا هو عدل الإسلام في أحكامه مع جميع الناس يقول الطبري يرحمه الله (يا أيها الذين أمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله ، شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ... واعدلوا أيها المؤمنون مع كل أحد من الناس ولياً لكم كان أو عدواً ، فاحملوهم على ما أمرتم أن تحملوهم عليه من أحكامي ولا تجوروا بأحد منهم عنه)[٣] ولقد اتضح من الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل معه [٤] ، فدل ذلك على أن الوسطية الإسلامية تدعوا للعدل مع الأحباب والأعداء والمؤمنين والكافرين، وعند تطبيق هذه الوسطية يعيش المجتمع في عدل تام ووئام سائد وهذا ما يتمسك به أهل السنة والجماعة من العدل مع القريب والبعيد والصديق والعدو .

المطلب الثالث : تحمل المسؤولية :-

إن نظرة الإسلام إلى الإنسان هي نظرة أساسية ، ومنها يتفرع كل ما على الإنسان من واجبات وماله من حقوق ، وإنها في منتهى البساطة والوضوح وبعيدة كل البعد عن جميع العقد الفلسفية ، وغوامض المعرفة ، وهي تقوم منذ خلق الله تعالى الإنسان ليكون في الأرض خليفة فيها مسئولاً ، وليأكل من طيباتها ، وليتمتع بزينتها في حدود شريعة الله ، ومن هنا كانت كرامة الإنسان مع الله تعالى في استخلاف الله للإنسان وحده على الأرض، كأساس أول للكرامة ، وفي منحه السمع والبصر والعقل

١ مسلم كتاب البر والصلة – باب تحريم الظلم ح رقم (٢٥٧٧)

٢ البخاري كتاب الديات – باب قوله تعالى (إن النفس بالنفس) (٢٠/١٢) ومسلم كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم (١٦٤/١١)

٣ تفسير الطبري – ط دار الفكر بيروت (٧/١٠)

٤ تفسير القرطبي – ط دار الشعب – القاهرة – ط٢ /١٣٧٣هـ (٦/ ١٠٩-١١٠)

كأدوات للعلم ، وكأساس ثان للكرامة ، وفي منحه حرية الإرادة كأداة للعمل المسئول وفقاً للشريعة الإسلامية في مصالح البشر ، وكأساس ثابت للكرامة .

إن الدين الإسلامي يحارب الإكراه بكل صوره وأشكاله ، لأن الإكراه ضرب من ضروب الإرهاب، حتى في مسألة اعتناق الإنسان الإسلام لم يشرع المولى سبحانه إكراه الناس على ذلك، فقال سبحانه وتعالى { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }(البقرة :٢٥٦) فليس في الدين إكراه من الله تعالى وقسر بل مبني الأمر على التمكين والاختيار ، فالقناعة الذاتية وحرية الإنسان في الاختيار تجعله طبيعياً يتحمل المسؤولية ، ويكون إيمانه قوياً يقول الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(النحل:١٢٥) ففي هذا الآية حث على ندب الدعاء إلى الخير وتحذير من الدعاء إلى ضلالة أو بدعة ، فالدين الإسلامي جعل الإنسان مسؤول عن عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وبذلك تتضح الوسطية الإسلامية في تحمل المسؤولية بخلاف النصارى الذين يفعلون ما يفعلون ثم يأتون إلى الكهنة القساوسة ورجال الدين يطلبون منهم التطهير والمغفرة منهم فيضمنون لهم غفران الذنوب والآثام ، فهذا يشجعهم على ارتكاب المنكرات والموبقات ثم يحصلون على المغفرة والرحمة ، فالدين الإسلامي لم يكتف بالأوامر والنصوص والمواعظ الأخلاقية ، بل أقام إلى جانبها جميع النصوص التشريعية اللازمة لضمان تنفيذها ، وهذا مالم تصل إليه نصوص(الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) (ولا نصوص الميثاق الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للانسان) بل ظلت هذه المواثيق والنصوص الدولية في مرتبة التوصيات الأدبية التي لا ضامن لها من الضمانات التشريعية لا على المستوى الدولي ولا على المستوى القومي ، فالدين الإسلامي جعل الإنسان يختار ومن ثم يتحمل مسؤولية اختياره ، وفي حالة قيام المسلم بمسؤوليته يعم الأمن والرخاء .

المطلب الرابع : الاعتدال وعدم الغلو :-

إن الدين الإسلامي بوسطيته قد نهى عن الغلو والتشدد وحذر المسلمين منه حتى لا ينجرفوا وينحرفوا فجعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة وسطاً لأن دينهم كذلك ، يقول الله سبحانه وتعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } (البقرة: ١٤٣)

ومثل هذا التوجيه جاء صريحاً لأهل الكتاب فقال سبحانه وتعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ } (المائدة:٧٧) فالغلو والتطرف خلاف الوسطية، فإذا كانت الوسطية تعني الاعتدال والتوازن في الأمور كلها ، فإن الغلو يعني الشقة والتضييق على النفس باتباع طريق واحد بعيداً عن الوسط ، ووسطية الإسلام توازن بين الأحكام فلا غلو ولا تشدد ، ولا تفلت ولا تسيب ، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام ، وقد ضرب لنا رسول الله عليه الصلاة والسلام المثل العملي في ذلك مع بعض الصحابة رضي الله عنهم الذين شددوا على أنفسهم بحثاً عن المزيد من الطاعة ، فقال أحدهم أصوم الدهر كله ولا أفطر، وقال الآخر : أقوم الليل كله ولا أنام ، وقال الثالث : لا أتزوج النساء ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا درساً عميقاً في الوسطية والاعتدال حيث قال(أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١] حيث إن ذلك بعيد عن روح الإسلام ومبادئه التي بُنيت على التيسير وعدم التنفير ، فما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أختار أيسرهما مالم يكن فيه إثم أو قطعية رحم ، يقول الله تعالى (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)(الحج :٧٨) فوسطية الإسلام تحصين للمجتمع من الإفرازات التي يمكن أن توجد بسبب التضيق من المتطرفين الذين يعتمدون على نظرة ضيقة للكون وللحياة ، وينطلقون منها إلى تخطئة كل رأي مخالف لهم باسم الدين ، ويدينون كل فكر مخالف لفكرهم باسم الدين ، الأمر الذي ينتهي بهم إلى تكفير الناس ، بل والنيل من أعراض العلماء والفقهاء ووصمهم بصفات غير لائقة، فالغلو باب إلى التطرف الذي يقود إلى العنف والسعي إلى إلزام المخالف رأيه بالقوه، ولذا فإن الله تعالى قد أعلمنا اختلاف الأمم الماضية قبلنا وأنهم تفرقوا واختلفوا فتفرقت بهم الطرق حتى صار بهم الاختلاف إلى الافتراء على الله عز وجل والكذب عليه، والتحريف لكتابه، والتعطيل لأحكامه والتعدي لحدوده، وكل ذلك وجميعه قد قصه الله عز وجل علينا وأوعز فيه إلينا وحذرنا من مواقعته، وخوفنا من ملابسته، يقول الله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (الأنعام : ١٥٣) فالصراط

١ سبق تخريجه

المستقيم هو القرآن والإسلام والفطرة التي فطر الله الناس عليها [1]، وقال {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } (الأنعام :١٥٩) ومعنى كانوا شيعاً[2] أي كانوا متفرقين في دينهم، ويراد به اليهود والنصارى، لأن النصارى بعضها يكفر بعضاً ، وكذلك اليهود يكفر بعضهم بعضاً، وبعضهم يكفر بعضاً(أي اليهود تكفر النصارى والنصارى تكفر اليهود) ففي الآية حث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين وأن لا يغلو وأن لا يبتدعوا البدع ، وأما قوله (لست منهم في شيء) يدل على أن من فرق دينه من أهل ملة الإسلام وابتدع البدع وغالى فقد صار منهم وعليه ما على السابقين من العذاب ، فالاعتدال وعدم الغلو من آثار انتشار الوسطية في المجتمع، ولذا فإن أهل السنة والجماعة يتمسكون بالاعتدال ويبتعدون عن الغلو .

المطلب الخامس : تحريم الاعتداء على الآخرين :-

حرم الدين الإسلامي ترويع الآمنين المباشر وغير المباشر ، ووجه إلى سد كل المنافذ وأبواب الذرائع التي قد تكون وسيلة للترويع ، أوتعكير الجو الآمن ، وجاءت الأحكام الشرعية مانعة لبعض الأفعال التي قد تسبب ترويع الآمنين وإخافتهم مثل تحريم الإشارة بالسلاح ، إذ شدد الإسلام في النهي عن هذا الفعل ، فجعل الإشارة بالسلاح من موجبات استحقاق العذاب الأليم في جهنم ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (إذا أشار المسلم على أخيه المسلم بالسلاح فهما على جرف جهنم ، فإذا قتله خرا جميعاً فيها) [3] وقال (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لايدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار) [4] لذلك حرم الإسلام قتل النفس وسفك الدم المعصوم وجعل ذلك من كبائر الذنوب يقول الله تعالى { وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً } (الإسراء :٣٣) فجعل القتل ظلماً من أكبر الكبائر بعد الكفر وموجب لاستحقاق العقوبة في الدنيا والآخرة[5] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (اجتنبوا السبع

١ الفتاوى (٥٥٥/١١)

٢ معاني القران وإعرابه (٣٠٨)

٣ النسائي كتاب تحريم الدم ح (٤١١٦) (١٢٤/٧) ، والسنن الكبرى (٣١٥/٢)

٤ البخاري كتاب بدء الخلق – باب خير مال المسلم غنماً يتبع به شغف الجبال (٢٥٠/٦) ومسلم في الإيمان- باب تفاضل أهل الإيمان فيه رقم (٥٢)

٥ نهاية المحتاج (٢٣٣/٧)

الموبقات قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ...) [١] فالدين الإسلامي أهتم بتحريم الاعتداء في أمور متعددة حتى تمس جميع جوانب الحياة فأمر الحاكم الذي يتولى أمر المسلمين أن يرفق بهم ولا يروعهم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)[٢] وبلغ الدين الإسلامي الغاية القصوى بتحريم الاعتداء على الآخرين بأي طريقة من الطرق حتى أهتم بطريقهم الذي يسلكونه فقال عليه الصلاة والسلام (واتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان ؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم) [٣] لذا نهى الدين الإسلامي عن التبول في الماء الراكد حتى لا يتأذى الناس بالروائح والأمراض التي تنشأ من تلوث الماء بالبول ، وبلغ الدين الإسلامي في عدم ترويعه للآخرين لدرجة لا يستطيع الواصف أن يصفها ومن ذلك أن أعرابي بال في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا عليه ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم (دعوه واريقوا على بوله سجلاً من ماء ، أو دلواً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[٤] فالدين الإسلامي وقف في مسألة ترويع الآخرين فلم يترك جانباً من الجوانب إلا واهتم به لذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[٥] فعدم ترويع الآخرين والاعتداء عليهم يتم ذلك وزيادة في حالة انتشار الوسطية في المجتمع فلا إفراط ولا تفريط. ولذا فإن أهل السنة والجماعة تمسكوا بهذا المبدأ فلا يروعون أحداً ولو حتى خالفهم .

المطلب السادس : علو مكانة النفس :-

إن الإسلام قد كرم ابن آدم وأنزله منزلة رفيعة بما حباه الله تعالى من طاقات عقلية ونفسية، وبما أعطاه من قوام جميل وصورة حسنة لا يماثله فيها أحد من خلق الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض،

١ البخاري كتاب الوصايا – باب قول الله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ..)(٢٠٣/١)

٢ مسلم كتاب الامارة – باب فضيلة الإمام العادل رقم (١٨٢٨)

٣ مسلم كتاب الطهارة – باب النهي عن التخلي في الطرق رقم (٢٦٩)

٤ البخاري كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم (٣٦٧/١٠)

٥ البخاري كتاب النكاح – باب لا يخطب على خطبة أخية (١٧١/٩)

فالإنسان هو الكائن المفضل الذي كتب الله له أن يتبوأ الصدارة والمكانة الرفيعة بين الخليقة والكائنات جميعاً يقول الله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } (الإسراء :٧٠) فالنفس الإنسانية أشرف النفوس الموجودة في العالم الأرضي ، وبدنه أشرف الأجسام الموجودة فيه [١] فالوسطية في الدين الإسلامي لم ترفع الإنسان فتجعله كالآلهة أو أبناء الآلهة كما فعل اليهود والنصارى مع أنبيائهم، وتابعهم في ذلك بعض الفرق كالشيعة والصوفية الذين جعلوا الأئمة أفضل من الرسل وغلوا فيهم حتى وصفوهم بصفات الله عز وجل ، ولم تخفض الإنسان فتجعله عبداً للملوك والأمراء أو رجال الدين أو الكهنة والعرافين وغيرهم بل جعلته عبداً لله سبحانه وتعالى ، فصفة العبودية له سبحانه وتعالى ترفع من شأن العبد فلذا وصف الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم في أشرف المواقع بالعبودية فقال { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } (الإسراء :١) فلذا نجد أهل السنة والجماعة يتمسكون بعلو النفس والعزة وعدم إهانة النفس لأحد وبذلك تتضح الآثار النافعة للفرد والمجتمع في حالة تمسك الأمة الإسلامية بالوسطية .

الخـــاتمة

إن من أهم النتائج التي توصلت إليها كما يأتي :-

١. إن الله تعالى جعل أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعدل وأفضل الأمم .

٢. الفلاسفة والباطنية غلوا في التنزيه فعطلوا الرب سبحانه وتعالى عن أسمائه وصفاته.

---

١ التفسير الكبير (٢١/١٢)

٣.الممثله غلوا في الإثبات فشبهوا الخالق بالمخلوق والمخلوق بالخالق .

٤.الدين الإسلامي أثبت الأسماء والصفات لله تعالى من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف.

٥.اليهود قد أسرفوا في تمثيل الخالق بالمخلوق ، والنصارى أسرفوا في تمثيل المخلوق بالخالق .

٦.إن أهل السنة والجماعة نزهت الخالق عن التمثيل والتعطيل .

٧.إن اليهود لم يقيموا العدل فيما بينهم وبين الآخرين من الأمم .

٨.إن النصارى شددوا في ظلمهم واضطهادهم لغيرهم .

٩.النصارى واليهود يسيئون للمسلمين بشتى الطرق والوسائل .

١٠. علاقة المسلم بغيرة علاقة قائمة على الوسطية ليس فيها تميع ولا تعصب .

١١. الجفاة ينكرون الرسالات السماوية كالملاحدة والفلاسفة .

١٢. اليهود خذلوا أنبيائهم ولم يقوموا بنصرتهم ففرطوا في حقهم .

١٣. النصارى غلب عليهم الغلو والإفراط في حق الرسل والأنبياء .

١٤. الدين الإسلامي أثبت للأنبياء حقهم ولم يغمضهم .

١٥. إن بعض الحداثيين والعقلانيين باعوا أنفسهم للشياطين من الشرق والغرب .

١٦. لليهود في باب القضاء والقدر مذهبان : مذهب ينفيه ومذهب يقول بالجبر كالجهمية.

١٧. للنصارى في باب القضاء والقدر قولان : قول يقول إن الإنسان مخير ، وقول يقول بالجبر.

١٨. لقد ضل في باب القضاء والقدر عدد من الفرق الإسلامية كالشيعة والصوفية والجهمية والمعتزلة.

١٩. الدين الإسلامي أوجب على المسلم الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره وهو معتقد أهل السنة والجماعة .

٢٠. اليهود أفرطوا في تقديس المادة ، والنصارى أفرطوا في تقديس الروح .

٢١. الدين الإسلامي أهتم بالروح والمادة ، والدنيا والآخرة فوازن بين الحقوق والواجبات .

٢٢. اليهود والنصارى جعلوا وسائط فيما بينهم وبين الله تعالى .

٢٣. اليهود والنصارى عبدوا الأحبار والرهبان من دون الله .

٢٤. غلا المشركون في العلماء والصالحين فاتخذوهم أنداداً من دون الله .

٢٥. الإسلام حرر العبد من رق الكهنوت والوسطاء .

٢٦. التطهير عند اليهود يتم عن طريق الصيام وطلب المغفرة والقيام بصلاة جماعية يؤديها الكهنة .
٢٧. تشدد اليهود والنصارى في عملية الطهارة .
٢٨. الطهارة هي المدخل إلى العبادات عند المسلم فقامت على اليسر والسهولة
٢٩. من مظاهر التيسير في الطهارة : التيمم ، المسح على الخفين والجبيرة .
٣٠. الصلاة عند اليهود تختلف باختلاف الأيام والأعياد .
٣١. لليهود صلاة فردية وهي ارتجالية يقوم بها الأفراد حسب الظروف والاجتهادات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس والمراسم .
٣٢. الدين الإسلامي رفع الحرج والمشقة في العبادات ومنها الصلاة .
٣٣. من مظاهر التيسير في الصلاة : الصلاة في أي بقعة من الأرض ، القصر والجمع في عدد من الحالات ، الصلاة بالطريقة التي يستطيعها المسلم ، عدم التطويل في صلاة الجماعة .
٣٤. الصيام عند اليهود يُعتبر رمزاً للحداد والحزن .
٣٥. طائفة الكاثوليك من النصارى يصومون عن بعض المأكولات وعن الكلام .
٣٦. تظهر سماحة الإسلام ووسطيته في ركن الصيام عن طريق : النهي عن الوصال ، تعجيل الفطور، تأخير السحور، الفطر في حالات السفر والمرض والعجز والحمل والرضاعة ، التراخي في القضاء.
٣٧. للفكر والعقل مكانة عالية في الدين الإسلامي .
٣٨. تغيب الوسطية في الفكر يؤدي إلى بروز العنف .
٣٩. من مظاهر الوسطية في الفكر الإسلامي : البعد عن التضييق في الفتوى ، قبول آراء الآخرين والأفهام المخالفة وغير ذلك .
٤٠. الفكر الإسلامي يفرق بين الكتاب والسنة وبين الفكر البشري الذي يحتمل الصواب والخطأ .
٤١. السوفسطائية ينكرون أن يكون العقل وفكره من أسباب المعارف .
٤٢. الفكر الإسلامي يوازن بين القديم والجديد بخلاف التقليد المطلق والتجديد المطلق .
٤٣. المذهب الفلسفي ينادي بالاعتداد بالعقل ضد الدين .
٤٤. بعض الحداثيين والعلمانيين والليبراليين ينادون بإلغاء النصوص النقلية أمام العقل والفكر .
٤٥. الدين الإسلامي جعل العقل مناط التكليف .

٤٦. الفلاسفة عمدتهم تحكيم العقل في جميع المسائل العقدية بمعزل عن الوحي .
٤٧. الخرافيون يحجبون العقل عن المعرفة تماماً فاستهوتهم الشياطين .
٤٨. توسط الإسلام في مسألة العقل بين الفلاسفة والخرافيين .
٤٩. لا تعارض بين النقل الصريح والعقل الصحيح .
٥٠. الرسل عليهم الصلاة والسلام قد يخبرون بما يحير العقول لا بما تحيله العقول .
٥١. الدين الإسلامي هو دين السلام فلا يجمع بين العنف والاعتداء .
٥٢. اهتمام الإسلام بكرامة الإنسان عن طريق فرض السلام .
٥٣. العيش في العدل والاستقرار في المجتمع بسبب الوسطية في الإسلام .
٥٤. الوسطية الإسلامية تدعو للعدل مع الأحباب والأعداء .
٥٥. الدين الإسلامي يحارب الإكراه بكل صوره وأشكاله .
٥٦. سبق الإسلام في تكريمه الإنسان المواثيق والقوانين الدولية .
٥٧. الدين الإسلامي ينهى عن الغلو والتشدد .
٥٨. الغلو باب إلى التطرف والعنف والتشدد .
٥٩. الإسلام سدد كل المنافذ والذرائع المؤدية للترويع والتخويف .
٦٠. الدين الإسلامي جعل الإنسان هو الكائن المفضل الذي يتبوأ الصدارة والمكانة الرفيعة بين الكائنات جميعاً .

فهرس المصادر والمراجع

١. ابن تيمية السلفي – محمد خليل هراس – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٢. الاتجاهات الفكرية المعاصرة – الدكتور جمعة الخولي – ط١ –١٤٠٧هـ.
٣. أحكام القرآن – أبو بكر بن العربي – تحقيق علي محمد البجاوي – دار الفكر .
٤. إحياء علوم الدين – محمد بن محمد أبو حامد الغزالي – دار الكتب العلمية – بيروت.
٥. الأخلاق المتبولية– عبدالوهاب الشعراني– تقديم وتحقيق: د.منيع عبد الحليم محمود – مطبعة حسان.
٦. أساس التقديس – فخر الدين الرازي – تحقيق الدكتور : أحمد السقا – مكتبة الكليات الأزهرية — القاهرة – ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .
٧. الاستغاثة في الرد على البكري لابن تيمية – تحقيق : عبدالله بن دجين السهلي – دار الوطن – ط١– ١٤١٧هـ/١٩٦٧م .
٨. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي – تعليق : محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – ط١– ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
٩. الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود– غازي السعدي–دار الجيل للنشر والأبحاث الفلسطينية – عمان – الأردن .
١٠. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان– محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية– تحقيق:محمد سيد كيلاني– مكتبة مصطفى الحلبي – مصر .
١١. الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد– أبو الحسن عبدالرحيم بن محمد الخياط – دار الكتب المصرية – ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م – ط أخرى .
١٢. الإنسان بين المادية والإسلام – محمد قطب – دار الشروق .
١٣. الإيمان والحياة – د. يوسف القرضاوي– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢– ١٤٠٦هـ.
١٤. البحر المحيط لأبي حيان – دار الفكر – ط٢ – ١٤٠٣هـ .
١٥. البداية والنهاية – أبو الفداء عماد الدين ابن كثير – مكتبة المعارف – بيروت .
١٦. بدائع الفوائد لابن القيم – مكتبة القاهرة – ط٢ – ١٣٩٢هـ .
١٧. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان – أبو الفضل عباس بن منصور السكسي – تحقيق الدكتور: بسام علي عموش – مكتبة المنار – الأردن .

١٨. بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف- الدكتور : محمد بن عبدالرحمن الخميس – دار الوطن – الرياض – ط – ١٤١٤هـ .
١٩. تاريخ الحروب الصليبية – ستيفن دنسمان – ترجمة د: السيد الباز العريني – نشر دار الثقافة – بيروت – ط١- ١٩٦٧م .
٢٠. تأويل مختلف الحديث – ابن قتيبة الدينوري- ط دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان.
٢١. التبصير في الدين – أبو المظفر الإسفرائيني- تحقيق : كمال يوسف الحوت- عالم الكتب – بيروت- ط١- ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٢٢. تبصرة الأدلة في أصول الدين- ميمون بن حسن محمد أبو المعين النسفي- تحقيق : كلود سلامة – المعهد العلمي الفرنسي – دمشق – ط١- ١٩٩٠م .
٢٣. التبيان في إعراب القرآن – أبو البقاء محي الدين أبي عبدالله العكبري – تحقيق : علي محمد البجاوي- إحياء الكتب العربية .
٢٤. تجديد الفكر الإسلامي- حسن الترابي- الدار السعودية للنشر- جدة – ط٢- ١٤١٧هـ.
٢٥. تفسير القرطبي- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي- تحقيق : أحمد عبدالعظيم البردوني – القاهرة.
٢٦. التفسير الكبير ومفاتح الغيب للرازي – دار الفكر – ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ابن جرير الطبري – دار الفكر .
٢٨. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم- دار الكنوز الأدبية – ١٣٩٩هـ- ط أخرى جامعة الإمام محمد بن سعود .
٢٩. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي – دار المعرفة .
٣٠. الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود – أحمد بن محمد بن حجر الهيثمي – دار المدينة – ط٢- ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٣١. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي- توثيق وتخريج : عبدالمعطي قلعجي- دار الكتب العلمية – ط١- ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .
٣٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة – الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني – تحقيق : أبو اليزيد العجمي – دار الوفاء – المنصورة – ط٢- ١٤٠٨هـ .

٣٣. ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين – عبدالله بن أسعد اليافعي – تحقيق الدكتور: موسى سليمان الدويش – دار البخاري – المدينة المنورة – ط١– ١٤١٠هـ.
٣٤. الرد على الجهمية والزنادقة– الإمام أحمد بن حنبل– تحقيق الدكتور: عبدالرحمن عميرة – دار اللواء– المملكة العربية السعودية – ط٢– ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
٣٥. الرد على المنطقيين – أحمد بن عبدالحليم تقي الدين ابن تيمية – تحقيق : عبدالصمد الكتبي– إدارة ترجمان السنة – لا هور – ط٤– ١٤٠٢هـ .
٣٦. الرسائل السلفية – الإمام الشوكاني– تعليق : خالد عبداللطيف السبع العلمي – دار الكتاب العربي– بيروت – ط١– ١٤١٣هـ/١٩٩١م .
٣٧. رسالة الاعتقادات– أبو جعفر محمد بن بابوية القُمي المعروف بالصدوق – دار الكتب المصرية .
٣٨. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج بالقدر– مرعي يوسف الكرمي الحنبلي– تحقيق : أسعد محمد المغربي– دار حراء – مكة المكرمة .
٣٩. رياض الجنة في الرد على أعداء السنة – الشيخ : مقبل بن هادي الوادعي – دار الأرقم – الكويت– ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
٤٠. شرح حديث النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية – المكتب الإسلامي– ط٤– ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
٤١. زاد المسير في علم التفسير–لابن الجوزي – المكتب الإسلامي– ط٣–١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٤٢. شرح العقيدة الطحاوية – ابن ابي العز بن محمد الحنفي – تخريج : محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – ط٥– ١٣٩٩هـ .
٤٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم الجوزية– دار المعرفة – بيروت.
٤٤. صراع الملاحدة – عبدالرحمن حبنكة الميداني – دار القلم – ط٤– ١٤٠٥هـ .
٤٥. العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون – علي بن حسن بن علي عبدالحميد الأثري – مكتبة الغرباء الأثرية – المملكة العربية السعودية – ط١– ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
٤٦. العلاقات الدولية في الإسلام — الأستاذ محمد أبو زهرة — القاهرة .
٤٧. العلاقات الدولية (محاضرات في الفقة الإسلامي) تأليف لجنة من أساتذة كلية الشريعة والقانون – ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٤٨. عوارف المعارف للسهروردي- تحقيق د: عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف - مطبعة السعادة.
٤٩. غريب الحديث لأبي الفرج بن الجوزي- دقق أصوله : عبدالمعطي أمين قلعجي- دار الكتب العلمية- ط١- ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
٥٠. فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية في التفسير للشوكاني - دار إحياء التراث العربي .
٥١. الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية- تقديم:محمد عبدالرزاق حمزة- مطبعة المدني- مصر - القاهرة.
٥٢. الفرق بين الفرق - عبدالقاهر بن طاهر البغدادي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٥٣. الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل-أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم- دار المعرفة-بيروت.
٥٤. فضح التلمود - آي بي برايانيس - إعداد : زهدي الفاتح - ط١- ١٣٩٤هـ .
٥٥. فقة السنة - الشيخ سيد سابق - مكتبة المسلم - القاهرة .
٥٦. قصة الحضارة - وول ديورانت - ترجمة : محمد بدران - لجنة التأليف والنشر - ط٣- ١٩٧٤م.
٥٧. قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام - د : توفيق الطويل - الإسكندرية - ١٩٦٦م .
٥٨. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه- الدكتور: عبدالرحمن بن صالح المحمود- دار النشر الدولي - الرياض - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤١٤هـ .
٥٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير- نشر دار الكتاب العربي - بيروت - ط٦-١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م.
٦٠. الكتاب المقدس (العهد الجديد) الأناجيل .
٦١. الكتاب المقدس (العهد القديم) جمعية التوراة الأمريكية .
٦٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود - ترجمة : يوسف نصر الله - تقديم : مصطفى أحمد الزرقا ودكتور حسن ظاظا - دار القلم - دمشق - ط١ .
٦٣. الكليات - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي- مقابلة د : عدنان درويش ومحمد المصري- مؤسسة الرسالة - بيروت - سوريا - ط١- ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
٦٤. لسان العرب-أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور- المؤسسة المصرية العامة - القاهرة.
٦٥. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان - دار الوطن - الرياض - ط١- ١٤١٣هـ .
٦٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي - دار الكتاب العربي - ط٣- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٦٧. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية – اختصار محمد الموصلي – ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
٦٨. مدخل جديد إلى عقيدة التوحيد- الدكتور: خضرسوندك – مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن – ط- ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
٦٩. مسند أبي يعلى الموصلي – تحقيق : حسين سليم أسد – دار المأمون للتراث – دمشق- بيروت – ط١- ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
٧٠. مشكلات الأحاديث – لجماعة من نوابغ العلماء – تصحيح : زكريا علي يوسف – مطبعة الإمام- القاهرة .
٧١. معالم الثقافة الإسلامية –الدكتور:عبدالكريم عثمان- مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١٦- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
٧٢. معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا- تحقيق: عبدالسلام هارون – مطبعة مصطفى البابي – مصر- ط٢- ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
٧٣. المعجم الكبير للطبراني- تحقيق وتخريج الأحاديث:حمدي عبدالمجيد السلفي – ط٢-.
٧٤. المغنى في أبواب التوحيد والعدل – القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمداني – تحقيق : محمد علي النجار وعبدالحليم النجار – القاهرة .
٧٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولآية العلم والإرادة لابن القيم – تحقيق:حسان عبدالمنان الطيبي – عصام فارس الجرستاني – دار الجليل – بيروت .
٧٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري – تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
٧٧. مقالات الكوثري – أحمد خيري – ط١- ١٣٧٢هـ .
٧٨. الملل والنحل – محمد عبدالكريم الشهرستاني – دار المعرفة – بيروت .
٧٩. منهج التربية الإسلامية- محمد قطب- دارالشروق-القاهرة – ط٦-١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٨٠. منهاج السنة لابن تيمية – تحقيق : محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – المملكة العربية السعودية – ط٦- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٨١. موسوعة الأديان والمذاهب - العميد عبدالرزاق محمد أسود - الدار العربية للموسوعات- بيروت- ط٢-١٤٠٠هـ/٢٠٠٠م .

٨٢. موسوعة العلوم السياسية - تحرير محمد محمود ربيع وإسماعيل صبري مقلد - جامعة الكويت - الكويت -١٩٩٣م- ١٩٩٤م .

٨٣. الموسوعة الفلسفية - الدكتور : عبالمنعم الحنفي - دار ابن زيدون - مكتبة سيد متبولي .

٨٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض - ط١- ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٨٥. النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير الجزري - تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي- مطبعة دار إحياء الكتب - ط١- ١٣٨٣هـ .

٨٦. نيل الأوطار للشوكاني- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية- الرياض -١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٨٧. هداية الحيارى - أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية- تعليق: مصطفى أبي النصر الشلبي- مكتبة السوادي – جدة – ط١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٨٨. اليسر والسماحة في الإسلام-الدكتور فالح محمد الصغير – ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر (موقف الإسلام من الإرهاب) المنعقد في الرياض – المدة ١-٣ ربيع الأول ١٤١٤هـ .

٨٩. اليهودية والنصرانية – الدكتور : سعود بن عبدالعزيز الخلف – أضواء السلف - الرياض– ط١- ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

فهرس الموضوعات